الصحوة الإسلامية

عودة إلى الذات

د. مصطفى حلمي

أستاذ بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على صاحب الرسالة

ب ٩٣

ص ٩٩

ص ١١ استمرارية الأزمة

الصحوة الإسلامية

عودة الى الذات

الطبعة الأولى

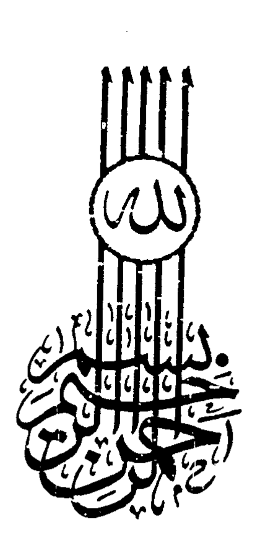
١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م

دار الدعوة

للطبع والنشر والتوزيع

(٢ شارع منشا - محرم بك ، الاسكندرية)

ت : ٤٩٠١٩١٤



مقدمة الناشر

ندعو به هؤلاء الذين انحازوا لحضارة الغرب وفتنوا بها ، ندعوهم إلى إعادة النظر وفق المنهج المقترح لهذا الكتاب .

ونرجو به تبصرة الجمهرة من مثقفينا الذين ضللوا بفعل (غسيل المخ) الذى بلغ ذروته بالغزو الثقافى والحرب الفكرية .

كذلك نطمع بمحتواه فى عودة المتغربين بدافع النخوة واسترداد الوعى بالذات والارتباط بتراثهم من جديد بعد إعادة النظر فى المفاهيم والآراء التى نشئوا عليها .

الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وبعد ،

فعندما ظهرت (الصحوة الإسلامية) وأخذت مكانتها العالمية ، جذبت الأنظار فى الشرق والغرب فصدر العديد من الكتب ، والمئات من البحوث والدراسات لاستكناه الصحوة ومعرفة أسبابها ومراميها ، وتحليل عقائد فصائلها واتجاهاتها ، ومحاولة استطلاع التوقعات فى المستقبل .

ولا يخفى أن الدوافع وراء هذا الاهتمام أهداف سياسية كتطويق الصحوة وإعاقتها ، أو احتوائها وإجهاضها إن أمكن ، إذ تشترك فى الحرب الباردة ضد المنطقة العربية موسكو وواشنطن وإسرائيل والإرادة الأوربية أيضا)(١) .

ولعل أول ما يثير دهشتنا أن ظاهرة العودة إلى الدين ، لا تقتصر على المسلمين فحسب ، بل شملت اليهود والنصارى أيضا ، فإن (الدين) أصبح يؤدى دوره على مسرح السياسة فى أوروبا بواسطة

---

(١) الثقافة العربية بين الغزو الصهيونى وإرادة التكامل القومى للدكتور حامد ربيع ص ٩٤ ط دار الموقف العربى سنة ١٩٨٢ م .

الفاتيكان والأحزاب المسيحية ، وبدرجة أكثر وضوحا فى إسرائيل ، ولكن الظاهرة هناك لم تحدث أية ضجة ومرت – وتمرّ – كأحداث عادية لا يُراد لها أن تثير الانتباه أو الاهتمام ، مع أنها تُعدّ تحولا كبير الشأن بالنظر للخلفية التاريخية للصراع مع الكنيسة !

وبعبارة أكثر تفصيلا وتحليلا ، فإن (المحنة الشديدة التى يتعرض لها الفكر الإسلامى المعاصر ، ذلك التحدى الصارخ الذى يهدده فى الصميم ، من قبل مجتمعات ونظم وقوى ، تزعم أنها علمانية أو إلحادية أو مادية ، رغم أنها فى تكوينها دينية من الرأس حتى أخمص القدم . أنها تنكر على الحركات السياسية الناهضة فى العالم الثالث ، أن تأخذ الطابع الدينى فى نفس الوقت الذى تنطوى فيه هذه القوى المناوئة للإحياء الإسلامى ، على نزعة دينية قوية . وإلا فما هو القول فى إسرائيل والصهيونية ، التى ارتكزت ولا تزال على المضمون الدينى اليهودى ، وما هو الشأن فى أوروبا الغربية الصناعية التى تلعب الأحزاب المسيحية فيها دورا نشيطا فى الحياة السياسية) ؟!(٢)

فلِم هذه الضجّة حول الصحوة الإسلامية وحدها ؟ اللهم إلا إذا كانت صدى الطغائن المتوارثة منذ الحروب الصليبية ، وامتزجت فى الذاكرة بانتصارات المسلمين وقوة شوكتهم أيام أمجاد الخلافة

---

(٢) مقال : الأبعاد السياسية لأزمة الواقع الإسلامى للدكتور السيد عليوه ص ١٠٧ بمجلة (السياسة الدولية) بمصر العدد ٦١ يوليو سنة ١٩٨٠ م .

العثمانية ، لأن الإسلام كان يعتبر - فى رأى توينبى - حركة مناهضة للغرب وبدعة دينية مخالفة لديانة الغرب فى الوقت نفسه ، ويستخدم سلاحا روحيا لا يمكن مقاومته بالأسلحة المادية ![٣].

لهذا فليس العجب من الأقلام التى تهاجم الصحوة الإسلامية فى الغرب ، بل العجب كل العجب من بعض أقلام بنى جلدتنا الذين يتخذون المواقف المشابهة لأعداء الإسلام !

وهناك أيضا كتابات مثبّطة للهمم ، أو تحمل السخرية وتنضح بالتهكم ، أو ترمى إلى الدخول فى جدل ومناقشات فى قضايا فرعية بغرض البلبلة ، أو تخترع ألفاظاً بلا مدلولات حقيقية - يمكن تعريفها علميًّا - كاتهام الإسلاميين بالتطرف أو الجمود والرجعية وغيرها من ألفاظ كلون من ألوان الإرهاب الفكرى ! ، وحتى اسم (الإسلام) فى ظل النظم الثورية كان محجورا عليه وراء تعريفات مختلفة (كالقيم الدينية) أو (القيم الروحية والخلقية) ، أو (التقاليد والأعراف) أو (التراث) أو (الفكر الدينى) أو (الدين) ، وعندما تم الإفراج عن اسم (الإسلام) مرة أخرى بعد محاولة طمسه وإخفائه لمدة سنوات طويلة فأصبح كالسجين عندما يُفرج عنه فيفرح به أهله !

---

(٣) الحضارة فى الميزان ، أرنولد توينبى ص ٣٠ ترجمة أمين محمود الشريف ومراجعة محمد بدران ط الحلبى - بدون تاريخ .

إن لفظ (الإسلام) أصبح له رنة شائقة فى القلوب والنفوس قبل الآذان ، هذه الفرحة التى لا يعرفها ولا يتذوقها إلا المسلمون المؤمنون !

أما عن المناهج المتّبعة فى الدراسة ، فقد ردد بعض الباحثين أن حركة اليقظة الإسلامية تُعد ردّ فعل للهزائم العسكرية والمصاعب الاقتصادية والتردى الحضارى فهل هذا صحيح ؟

يبدو هذا التفسير صحيحاً فى جزء من أجزائه ، لكنه يغفل البحث عن عوامل بقاء الأمة ولا يحيط بحلقات التاريخ المتكاملة تعليلا وتفسيرا والذى يتبين منه أن الأمة ظلت باقية طيلة نحو أربعة عشر قرنا من الزمان بالرغم من السهام التى صوبت إليها وكانت تبغى إصابتها فى مقتل .

ومن هنا فإن الإحاطة بالظاهرة يتطلب استخدام أكثر من منهج :

١ – منهج التحليل السياسى ويتضح منه أن الأمة الإسلامية – كرباط معنوى – مازال قائما بالرغم من إلغاء الخلافة الإسلامية فى طورها الأخير (أى العثمانية) وكانت تجمع الأمة وتضمها فى الشكل السياسى الأمثل .

٢ – منهج التاريخ الحضارى بمفهومه الشامل للأمة الذى يتجلى فى الطابع الثقافى والكيان الاجتماعى ، حيث يتضح أن الشريعة الإسلامية ظلت تحكم الأمة طوال عمرها ، ولم تُلغ إلا بفعل سلطات

الاستعمار الغربي ، كذلك كانت راية الجهاد هي الراية التي قاومت بها الشعوب الإسلامية مستعمريها وجلاديها .

٣ – منهج علم مقارنة الأديان فيتضح أن الإسلام – دون غيره من الأديان – تتسم عباداته بخصائص وصفات لا توجد فى أية ديانة أخرى ، فهى على مستوى إشباع نوازع النفس البشرية تغذيها وتكسبها الطمأنينة فى دروب الابتلاءات والكوارث والمحن ، وتربطها بخالقها عز وجل عبودية ومحبة وخوفا ورجاء متطلعة إلى الحياة الآخرة ونعيمها ، وبذلك تصبح الصلاة والزكاة والصيام والحج كوسائل للوصول إلى الغاية العظمى والنعيم المقيم ، وفى نفس الوقت تجدد الصلة بين المسلمين وربهم عز وجل وتعمق الإيمان ، وتحافظ على تماسك الأمة وتقوى نسيج وحدتها . وهنا نلاحظ أن الاستعمار استطاع حصار الشعوب ولكنه لم يقض على (الأمة) ، وها هى حكمة جديدة تظهر لنا كآثار للعبادات ، ربما كانت خافية أيام ازدهار حضارتنا .

فهى فى عصور الضعف تؤدى دورها فى إبقاء الأمة حية بالرغم من مظاهر الوهن ، أى كالأنهار والمياه الجوفية التى تظل تتدفق وتتتابع باستمرار ، فإذا ضيّق عليها الخناق وسدت عليها المنافذ من جانب ، تفجّرت من جانب آخر !

وهذه إحدى معجزات الإسلام التى تميّزه من غيره من الأديان ، وربما كان هذا هو السر فى حيرة أعداء الإسلام الذين فاجأتهم

الصحوة بعد أن ظنوا من فرط اتساع خطواتهم وقوتها إنهم تخلصوا منه ﴿ **يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون** ﴾ الصف : ٨ .

وأخيرا فإننا نتوجه بحديثنا إلى الباحثين على اختلاف مناهجهم :

○ فنحن ندعو بالحكمة هؤلاء الذين انحازوا لحضارة الغرب وفتنوا بها ، ندعوهم إلى إعادة النظر وفق المنهج المقترح فى هذا الكتاب .

○ ونرجو تبصرة الجمهرة من مثقفينا الذين ضُلّلوا بفعل (غسيل المخ) الذي بلغ ذروته بفعل الغزو الثقافى والحرب الفكرية .

○ كذلك نطمع فى عودة المتغربين إلى أمتهم بدافع النخوة واسترداد الوعى بالذات والارتباط بتراثهم من جديد بعد إعادة النظر فى المفاهيم والآراء التى نشؤوا عليها .

○ ولا نفقد الأمل أيضا فى أصحاب الأقلام العدائية ، فربما تتحقق الهداية بأسباب لا تخطر على البال : كلمة صادقة مخلصة ، أو معرفة حقيقة كانت خافية ، أو ابتلاء من الابتلاءات المارّة بالإنسان توقظه وتنبهه ، أو قراءة واعية مؤدية إلى تصحيح معلومات ومفاهيم غُرست فى الأذهان منذ الصبا بمناهج تعليمية ترمى إلى فصل الأجيال الجديدة عن تراثها وقيمها ، كما فعلت فرنسا بالمغرب وتونس والجزائر ، وكما فعلت انجلترا بالهند ومصر(٤) .

---

(٤) فإن الكاهن (دنلوب) خلع عنه ثوب الكهنوت ودخل فى خدمة الحكومة بمصر بدير =

والحمد لله عز وجل له أولاً وآخراً ، ونسأله سبحانه أن ينفعنا به والمسلمين ، وأن يحقق لأمتنا آمالها ويمكّنها من أداء رسالتها كخير أمة أخرجت للناس .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،

الإسكندرية فى ٧ شوال سنة ١٤٠٩ هـ
١٢ مايو سنة ١٩٨٩

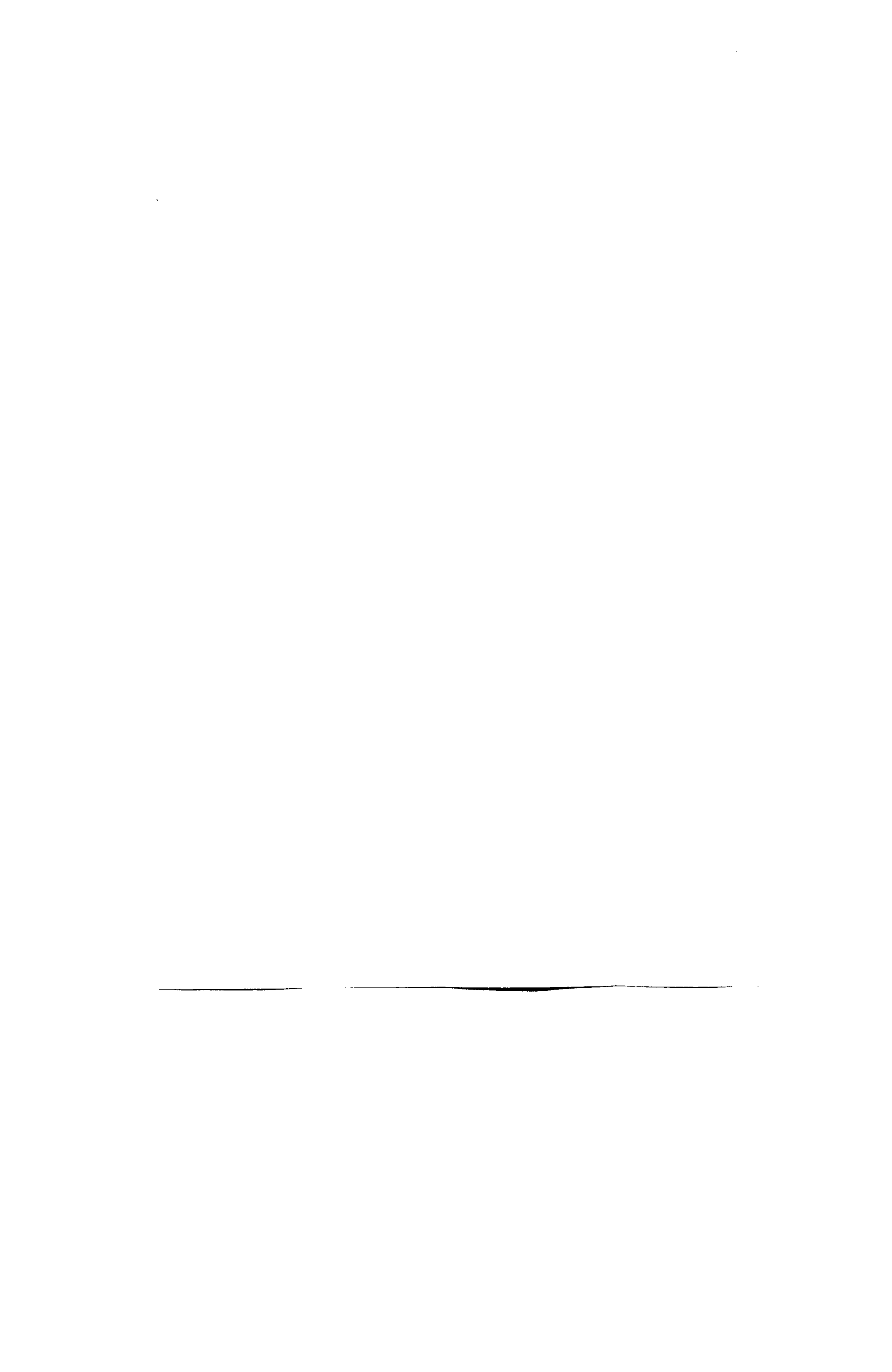
مصطفى بن محمّد حلمى

= مدارسها فى خلال ربع قرن ، فكان يناهض القرآن مناهضة سرية متواصلة .

ص ١٥٧ من كتاب (الإسلام وآسيا أمام المطامع الأوربية) وهو تتمة كتاب (استبعاد الإسلام) لأوجين يونغ - مكتبة النهضة بشارع عبد العزيز بمصر سنة ١٩٢٨ م .

(١)

منهج البحث وقضاياه



منهج البحث وقضاياه :

إذا رأيت السحب الداكنة فى يوم الشتاء الممطر تغطى السماء ، أفلا تعتقد جازما أن الشمس لابد وأن تظهر للعيان مرة أخرى مهما طال غيابها وراء السحب ؟!

هذه هى الصورة التقريبية للعلاقة بين أمة الإسلام وما طرأ عليها من أزمات كانت تشتد عليها وتكاد تنطى ملامحها كما تفعل السحب السوداء فى أيام الشتاء ، ولكن الأمة ظلت موجودة ، خفتت أو ضعفت أشعتها وأثرها ولكنها بقيت حية .

إن آثار الهزيمة التى عانت منها الأمة فى القرن أو القرنين الأخيرين لا تعنى أنها هزيمة أبدية .

وفى الوقت نفسه لا ننكر أن أحوال العالم الإسلامى فى صورتها العامة مضطربة ومتردية يسبب لقلوبنا الأكدار والأحزان لأنها تسىء فى تعبيرها عن مضمون الإسلام الصحيح الذى ارتفع بالمسلمين الأوائل إلى قمة الحضارات الإنسانية .

ولكن ما الحكم على مظاهر الصحوة الإسلامية التى جذبت اهتمام مراكز البحوث والدراسات فى الشرق والغرب وأزعجت الدوائر الاستعمارية التى رأت فيها خطرا على مصالحها بل نظر البعض إليها على أنها تعبر عن حضارة قادمة فى الطريق سترث الحضارة الغربية ؟

وظلت البحوث والدراسات تحوم فى أغلبها حول التفسيرات الماركسية، كتعليل الصحوة مثلا بأنها حركة رد فعل للأزمات الإقتصادية أو الهزائم العسكرية أو المتنفس لأزمات الشباب، الخ ...[1].

أجل قد يكون أحد هذه العوامل أو بعضها سببا من الأسباب ولكننا أمام هذه الظاهرة العامة على مستوى الأمة والمتغلغلة فى طبقات اجتماعية متباينة، نرى قصور التعليلات السابقة حيث تفتقد فى رأينا عاملين :

الأول : العامل الإيمانى الفردى .

الثانى : افتقاد النظرة التاريخية الشاملة للصراع الحضارى مع الغرب لاسيما فى العصر الحديث .

ونرى متابعة هذا الصراع بحيث ينبغى البدء بالاصطدام بالغزو العسكرى حيث كانت عقيدة الأمة تشكل حجر الزاوية فى المقاومة، إذ تسلحت بالإسلام دفاعا عن ذاتها وأيضا ظلت تقاوم بصلابة كل محاولات الاستعمار للقضاء على دينها أو محو تراثها .

وخدع الاستعمار نفسه حينما ظن بعد سنوات من الاستعمار تتراوح بين نحو قرن فى مصر مثلا وعدة قرون (فى أندونيسيا) ظن .

---

(١) ينظر بالتفصيل (ملف السياسة الدولية) بمجلة السياسة الدولية بالأهرام العدد ٦١ يوليو سنة ١٩٨٠ بعنوان (حركة الإحياء الإسلامى وأبعادها الدولية) .

أنه انتصر نهائيا : وأن تحدبه هذه المرة بلغ غايته ، ولم يكن يعلم أن الإسلام فى أعماق الأمة يؤدى دوره المزدوج .

١ - المحافظة على ذاتية الأمة .
٢ - الدرع الذى تدافع به عن كيانها .

أجل : الإسلام بمصدريه : كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، ظلا فى قلب الأمة وبين أيديها تعض عليهما بالنواجذ ، وإذا شئنا التفصيل قلنا : إن العبادات من صلوات وصيام وزكاة وحج ظلت تذكرها بالعبودية لله تعالى وحده وتحررها من العبودية لغيره كائنا من كان ، فضلا عن التراث العلمى الفقهى والقيم الأخلاقية والآثار التاريخية التى جسدت حضارتها وأنعشت ذاكرتها .

كل ذلك كان ومازال يشكل ضمانات ثابتة صاحبت الأمة منذ بعثة رسول الله ﷺ ، بينما تعبر موجات الغزوات العدائية فى تاريخها عن العوامل الثانوية التى تحرك الأمة وتوقظها كلما أخلدت للدعة وغفلت عن رسالتها . ويصدق هذا التفسير منذ غزوات التتار والحروب الصليبية إلى الغزوات الاستعمارية فى العصر الحديث وهى امتداد للحروب الصليبية فى العصور الوسطى أيضا .

وبالرغم من أن الاستعمار الجديد قد استفاد من دروس هزيمة أجداده الصليبيين فابتدع أساليب جديدة فى الغزو الثقافى والتسميم الفكرى - كما سنرى - بالرغم من ذلك فإن الإسلام ظل يؤدى دوره فى الأعماق .

ثم دار الزمن دورته بعد أن فشلت خطط الاستعمار فى الإبقاء عليه فى ديارنا إلى الأبد كما كان يظن ويأمل حيث أغفل قانون الدفع القرآنى ﴿ **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض** ﴾ البقرة : ٢٥١ .

ونحن نعيش فى الوقت الحاضر نماذج دالة على حيوية الأمة بالرغم من الطعنات والجراح الهائلة التى أصابتها ، حيث ظنت الدول الاستعمارية – وعلى رأسها روسيا وأمريكا – أن طعناتها المتوالية قد أجهزت على الأمة تماما ، ولكن تبين أنها أخطأت :

– منها المحاولات المستميتة بواسطة اليهود لكتم أنفاس الفلسطينين ومسح هويتهم العربية الإسلامية ، فظهرت على أثرها ثورة المساجد تحت راية (الله أكبر) .

– ومنها الحملة الروسية الضارية بقوتها العسكرية الضخمة وجيوشها المسلحة بأحدث الأسلحة ، ولكنها فشلت فى تحقيق أغراضها والتهام أفغانستان كما التهمت الولايات الإسلامية الست من قبل ، وانتصر الشعب الأفغانى تحت راية الجهاد الإسلامى ، بل إن الأمل معقود عليه ليحقق انتصارات أخرى لتحرير المسلمين فى جمهوريات الاتحاد السوفييتى من نير الاستعمار الروسى ، الذى لا يماثله لون آخر من الاستعمار إلا الاستعمار الاستيطانى اليهودى فى فلسطين ، والاستعمار الفرنسى الذى كان يهدف إلى ضياع ذاتية الشعوب التى يستعمر أراضيها لاسيما فى شمال أفريقيا بتونس والجزائر والمغرب أيام سطوته .

ويرتكز منهجنا على عدة ركائز ، منها :

(أ) استعراض تاريخ الأمة العقدى والتشريعى فى العصر الحديث داخليا ، والنزاع الناشب مع أعداء الأمة خارجيًا .

وفى ضوء هذا التحليل يتضح لنا فى أجلى الصور الأحداث والوقائع التى أسهمت فى التردى إلى الواقع الحالى ، ولعل أبرزها إلغاء الخلافة العثمانية ثم تفتيت وحدة الأمة وقطع رباطها التاريخى والدينى والسياسى الذى كان يربطها منذ وفاة النبى ﷺ ، وعلى أثرها فُرضت على الشعوب الإسلامية على امتداد بلدانها المختلفة الأيديولوجيات والأنظمة من الشرق والغرب .

(ب) الاستعمار وآثاره على عقائدنا وتشريعاتنا .

(جـ) كيف ظلت الأمة باقية طوال حركات الصراع مع أعدائها ؟

ويتضح ذلك من استعراض وسائل الأمة الإسلامية فى المحافظة على ذاتها فى الداخل ومواجهة أعدائها فى الخارج .

(د) ما هى حضارتنا ؟ أو النموذج الحضارى الإسلامى البديل لحضارة العصر .

(هـ) الأمة الإسلامية والعصر .

(و) آفاق المستقبل بمشيئة الله تعالى .

المدخل ومتطلبات الدراسة :

لاشك أن الأمة الإسلامية التى تشكل نحو مليار من البشر واقع حى موجود يحتل منطقة جغرافية تمتد من جنوب وأواسط آسيا شرقا إلى المحيط الأطلنطى غربا ، ولها تاريخها منذ ألف وأربعمائة سنة ، وتدور فى فلك ثقافى واحد إذ يرتبط بالوحى المنزّل بالقرآن الحكيم وسنة سيد الأنبياء والرسل محمد ﷺ .

هذا هو الواقع المتجسد الحى الذى لا خلاف حول إقراره إعترافا بالواقع ، ولكن الخلاف الدائر فى مراكز البحوث والدوائر السياسية هو :

(أ) هل سيظل هذا الواقع بأحواله الراهنة خاضعاً كما هو الآن لإحدى الدولتين المتعاليتين ، أم أنه بدأ يستيقظ ليشكل كتلة مستقلة سياسيا واقتصاديا وعسكريا - كما كان فى ظل الخلافة الإسلامية - وفى هذه الحالة يصبح خطرا على الحضارة الغربية بجناحيها الشرق والغربى ؟ ثم ، ما السبل لإبقائه على حاله من النوم والخمود والتخلف والتبعية ؟

هذا ما نراه خارج دائرة العالم الإسلامى .

أما فى **الداخل** فقد صدرت المؤلفات العديدة وكتبت المقالات التى لا حصر لها حول هذه الظاهرة ، يهمنا تبويبها وفق المناهج والاتجاهات الآتية :

(١) المنهج التغريبي واستخدام أصحابه طريقة الفلاسفة الغربيين في التحليل والتفسير وركيزته تصور الدين منفصلا عن الحياة .

(٢) التحليل وفق المنهج الماركسي المادى ، أو تفسير حركة اليقظة الإسلامية كرد فعل للهزائم العسكرية المتوالية أمام الغزو الصليبي الصهيوني .

ونرى أن أصحاب هذا التفسير وغيره ممن يخضعون لمناهج الفلسفة الوضعية لا يريدون الوقوف على الخلفيات والحقائق التاريخية الثابتة ، ولهم عذرهم أيضا لأنهم لا يقرّون بالعامل المعنوى الغيبى الذى يفاجؤهم أحيانا بلا مقدمات محسوبة ولا خطوات مدروسة — وأظهرها فى العصر الحاضر انتصار الأفغان على الاتحاد السوفييتى ، وحركة المقاومة الفلسطينية داخل أراضيها !

هذا العامل الغيبى الذى يتحقق فيه النصر الإلهى ﴿ **وما النصر إلا من عند الله** ﴾ يغيب تماما عن أذهان هؤلاء ، بينما نحن نضعه فى المقام الأول مع تطبيق السنن الإلهية فى التأييد والنصر !

إن هؤلاء الذين فاجأتهم حركات اليقظة لم يقرءوا التاريخ جيدًا ، لأن الاكتفاء بتحليل الظاهرة بالعوامل المعاصرة فحسب تشكل خللا كبيرا فى التفسير والفهم ، وتضع ضبابا أمام الرؤية ، لأن أصحابها لا يريدون الإقرار بالخلفيات والحقائق التاريخية الثابتة :

فكأن الأمة لم تقر بالإسلام ولم تتخذه دينا ولم تعرفه وتحياه منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ، وكأن الشريعة لم تكن دستور المسلمين ،

وكأن مناهجها التعليمية وتنشئة الأجيال تلو الأجيال لم تعتمد على تراثها الضخم الثرى - المطبوع والمخطوط - فى التفسير والحديث واللغة والفقه والتاريخ والعلوم بشتى فروعها والآداب ، وكأن القرآن الكريم لا يتلى آناء الليل وأطراف النهار ، وكأن المساجد فى أنحاء العالم الإسلامى لا تؤدى فيها شعائر العبادات اليومية والأسبوعية ولا يسمع من مآذنها نداء (الله أكبر) خمس مرات فى اليوم ، وكأن التاريخ الجاهلى أو الفرعونى أو الفارسى أو الفينيقى أقرب إلينا من تاريخ هجرة محمد ﷺ !!!

وفى المقابل : هناك الطلائع الشابة المسلمة وهى فى أغلبها من الطبقة المثقفة المقتنعة عن طواعية باختيار النموذج الإسلامى للتنظيم الاجتماعى والسياسى حيث نفرت من التطبيقات للقوانين الوضعية المستمدة من الغرب ، ولم تستسغ الثقافة المستوردة ونفورها منها بفطرتها . لقد تاقت إلى حياة أجدادها التى كانت أكثر سعادة وطمأنينة لأنها نفذت عمليا تعاليم الإسلام وخضعت له .

وهناك أيضا ثغرة واسعة فى منهج بعض الدارسين لحركة الصحوة لا يملؤها كثرة المراجع وجمع البيانات أو دقة الاستقراء ، هذه الثغرة تتمثل فى نظرتهم إلى حركة اليقظة من خارج (التجربة الإسلامية) - أو الإيمانية - ، وأقصد بذلك نظرتهم للإسلام كمجرد تراث مدوّن ومقروء ، وبمجموعة نصوص وتاريخ بمعزل عن خوض تجربته كعقيدة إيمانية ينبض بها القلب ، وينشرح لها الصدر ، ويعرف صاحبها لها مذاقا خاصا يدفعه إلى الاغتراف منها بلا حدود .

إن المذاق الخاص الذى عرفه المسلم فى ضوء التجربة الإيمانية بحرصه على الامتثال لأوامر الله عز وجل والانتهاء عما نهى عنه ، تجعل الإنسان المسلم وثيق الصلة بخالقه سبحانه وتعالى عبودية ومحبة وخوفا ورجاءً .

كذلك محبته للرسول ﷺ والحرص على اتباع سنته تحقق له لونا من السعادة والطمأنينة النفسية لا يعثر عليها فى أية تجربة أخرى .

﴿ قل إنْ كُنتم تُحبون الله فاتبعونى يُحببكم الله ﴾

﴿ والذين آمنوا أشدُّ حبا لله ﴾ .

﴿ والذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ﴾

﴿ من عملَ صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبةً ﴾ .

إننا ندعو هؤلاء الباحثين إلى قراءة آيات القرآن الكريم بفهم وتدبر ، ومعايشة سنة الرسول ﷺ بالاطلاع على أقواله وأفعاله ، والفهم العميق لحكمه ، ثم اتباعه قدر الاستطاعة ، وليس فى ذلك كله أية صعوبة ، حيث يمكن الانتظام فى صلاة الجماعة وإقامتها بخشوع ، أو الصيام فى الأيام الواردة ضمن السنن ، أو أداء العمرة والحج ، مع تسجيل نتائج هذه التجارب وإعادة النظر فيما ورثوه من ثقافات وما طالعوه من كتب ، وما عرفوه من فلسفات وأيدولوجيات ، وما خاضوه من تجارب وجدانية .

ونحن على ثقة بأن هذه التجربة الإيمانية التى تجمع بين الأحكام العقلية التأملية وبين الأحاسيس القلبية اليقينية ستجعلهم أكثر دقة فى أحكامهم .

(٢)

معالم المنهج المقترح



معالم المنهج المقترح

تصحيح المعلومات والتصورات :

ومن أولويات العودة إلى الذات مراجعة المفاهيم والتصورات التى غُرست فى عقولنا ونفوسنا أمام هيمنة الاستعمار العسكرى – الذى انحسر سلطانه وبقيت آثاره ولعل أبعدها شأنا تلك الآثار الثقافية التى حولت أذهان المسلمين عن خط السير الأصلى الذى سارت فيه أمتهم منذ عصر النبى ﷺ ، فأصبح شأنهم فى ذلك – كشأن قافلة كانت تسير فى طريقها الصحيح ، ولكن اعترضها الضباب فترة فحجب الرؤية الصحيحة فتوقفت ، وكادت أن تتراجع ، ثم ظهر فى الطريق من أراد خداعها زاعماً أنه يستطيع إرشادها إلى الطريق الصحيح ولكنه فى الحقيقة كان مخادعا سيء النية ، يريد تسليم القافلة إلى أعدائها المتربصين بها .

ولما لاحت ضياء الشمس وانقشع الضباب أضبح الطريق أمام القافلة واضحا ، فبدأت تستأنف سيرها من جديد . هذه هى الصورة المصغرة لحركة اليقظة الإسلامية بعد فترة الغياب عن الذات .

ولا يتعدى دورى فى هذا الكتاب السعى لتحقيق غرضين :

الأول : تصحيح بعض المعلومات لكثير من مثقفينا المحاورين الذين شبّوا على الفكر الغربى وتصوراته ، وكانوا ضحايا النظرة الواحدة ، ولم تُتح لهم فرصة دراسة الثقافة الإسلامية لسبب أو لآخر .

الثانى : الإسهام – بقدر وسعى – فى صياغة منهج نتمكن به من إعادة النظر إلى أنفسنا وإشاعة روح الإعتزاز بعقيدتنا وشريعتنا وحضارتنا ، ووصل ما انقطع من الطريق الذى انحرف بنا فى ظل الاستعمار لكى نستأنف من جديد اجتياز الطريق الرئيسى الذى كانت أمتنا تسير عليه منذ بزوغ شمس النبوة عليها .

وسنضع العلامات على الطريق فى شكل إجابات على الأسئلة التالية :

١ – من نحن ؟ وما هى حضارتنا ؟ وما هو دورها القيادى للعالم ؟

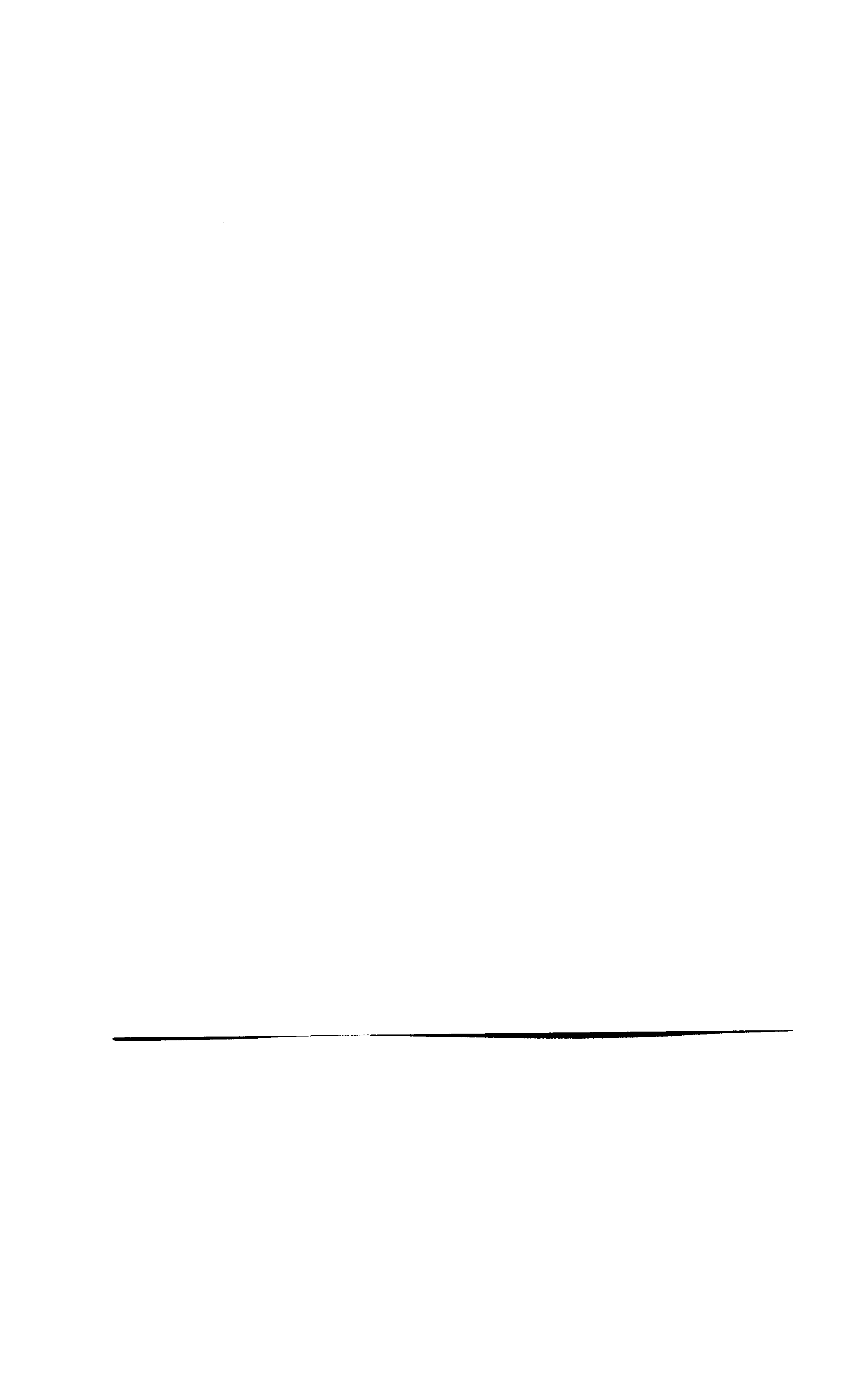
٢ – ما هى آثار الاستعمار على عقائدنا وتصوراتنا ؟

٣ – ما هى آفاق المستقبل بمشيئة الله تعالى ؟

(٣)

النموذج الحضاري الإسلامي

(أو الحضارة الإسلامية وفضائلها)



النموذج الحضارى الإسلامى

(أو الحضارة الإسلامية وفضائلها)

ربما يعلق قارىء على العنوان فيدور فى ذهنه السؤال الآتى : وأين نجد هذا النموذج مطبقا فى الواقع ؟

والإجابة تقتضى مراجعة تاريخ المسلمين الأوائل فى عصر النبوة والخلافة الراشدة - لا رجوعاً إلى الوراء بالمعنى التاريخى الاستردادى - ولكن ارتفاعاً إلى القمم التى شادوها فى العقائد والعبادات والأعمال .

وما دامت هذه القيم باقية فإن تطبيقها متاح عندما نصرّ على التقيد بها وتطبيقها كما فعل المسلمون - ويفعل بعضهم حتى الآن ! وذلك مصداق حديث رسول الله ﷺ «.لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتى أمر الله »[1] .

---

(١) وبهذه المناسبة نود أن نشير إلى أن هذا الحديث لا يتعارض مع حديث (خير القرون قرنى ..) الذى يفسره بعض المتغربين بأنه يقتضى وصف الماضى دائما بالأحسن ، فإن الجمع بين الحديثين يؤدى إلى تصوير الأمة الإسلامية بأن كثرتها الغالبة المستمسكة =

ولئن كانت الحضارة بالمفهوم الجارى على الألسنة هى نتاج التقدم العلمى بفروعه المختلفة فى ميادين الهندسة والصناعات واستخدام الآلات لخدمة الإنسان ورفاهيته وإقامة المدن وتمهيد الطرق ، والاستخدام الأمثل لظاهر الأرض بزراعتها وباطنها باستخراج البترول والمعادن وغيرها ، كل ذلك يعبر عن جانب واحد من التصور الإسلامى للحضارة ، لأننا نقرأ فى القرآن أن الله تعالى سخر لنا ما فى السموات وما فى الأرض جميعا ، وكان ذلك سببا فى ازدهار العلوم عند المسلمين ، ولكن تبقى (الثقافة) كعنصر هام من عناصر الحضارة – أى ما تتضمنه من عقائد وقيم تتمثل فى تعريف الإنسان بخالقه عز وجل وحضه على النظر فى الكون حوله وبيان الحكمة من خلق هذه الحياة وطبيعتها ومآلها ، وتنظيم سلوكه وأخلاقه تهذيبا وارتقاءً إلى الأسمى ، وإخضاع غرائزه ودوافعه إلى نظام محكم فى العبادات وقواعد التشريع والمعاملات حتى تنتظم علاقاته على أقوم سبيل ممكن بالنظر للطبيعة البشرية القابلة للاستقامة أو الإنحراف « **وهديناه النجدين** » .

بتعاليم الإسلام تحققت فى القرون الأولى ، ولا يمنع ذلك من حفاظ الطائفة الظاهرة على الحق على هذا مع قلة عددها بالمقارنة بالمسلمين الأوائل .

ومن هنا كانت الحضارة التى ترعرعت فى ظل الإسلام هى أرقى حضارة عرفها الإنسان ، حيث كفلت السعادة والأمان ، وحققت له حرية الاعتقاد والعمل ، وكان العلم فيها خادما للإنسان ، فلم تنفلت نتائجه المدمرة لتسبب الكوارث كما حدث فى أوروبا فى حربين عالميتين قتل خلالهما وشرد الملايين ، وكانت وصمة عار فى جبين هذه الحضارة . كذلك خلت الحضارة الإسلامية من الأزمات النفسية والعصبية المنتشرة كالأمراض المعدية فى كيان الحضارة الغربية .

ولنا أن نباهى إذن بحضارتنا بالرغم من انحسارها الحالى إذا بيّنا أن الجانب (الثقافى) مازال ثابتا حيا محتفظا برونقه لم يمس ، وها هى أدلتنا :

١ - **التوحيد** : وهو جوهر الإسلام ولبه ، وإذا كان علماؤنا قد اهتموا بدوائره الثلاث (الألوهية والربوبية والأسماء والصفات) فذلك لكى تتضح عقيدة التوحيد وترسخ فى النفوس والقلوب فلا تشوبها أية شائبة .

وربما يأتى هاتف فيوسوس لك عن الحكمة فى بيان هذه الدوائر ، ولكن سرعان ما تعرف الحكمة إذا شرحنا المقصود منها ، فتوحيد الألوهية يعنى إفراد الله تعالى بالعبادة ، رجاءً وخوفا ومحبة - وهى من أعمال القلوب - والصلاة والزكاة والحج ونحو ذلك وهى أعمال

الجوارح . ولا يصح للإنسان أن يتوجه لغير الله تعالى بهذه الأعمال التى يقصد بها التقرب إلى الله تعالى إذعاناً وخضوعاً واستسلاماً .

ونفهم توحيد الربوبية على ضوء التيقن بأن الله سبحانه هو رب كل شئ ومليكه هو تعالى الخالق الرازق المحيى المميت المدبر لجميع الأمور بتشريعه الحكيم ، فمن زعم الاستقلال بتشريع أو بنظام من عند نفسه فقد أخل بهذا التوحيد ، وأقل ما يوصف به آنذاك أنه استهان بشرع الله تعالى ، فهل لنا أن نطالب المستمسكين بالقوانين الوضعية بإعادة النظر فى عقيدتهم على ضوء هذا الشرح ؟

أما توحيد الأسماء والصفات فيميز المسلمين الموحّدين عن غيرهم الخارجين فى عقائدهم عما وصف الله تعالى به نفسه من صفات وأسماء حسنى .

٢ - **التطبيق العلمى بواسطة الرسول ﷺ** : فقد وصفته السيدة عائشة رضى الله عنها بأن خلقه القرآن فلم يعد لأحد حجة فى الانحراف عن سننه وطريقته فى الحياة .

٣ - **ثبات القيم الأخلاقية مع الحض على مكارمها .**

٤ - **الحض على طلب العلم وإجلال العلماء .**

٥ - **تكريم الإنسان وتقرير حقوقه :**

﴿ ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ الإسراء: ٧٠.

وكان الإسلام أسبق من حيث إقرار حقوق الإنسان التى جعل منها دنيا ودينا ، وأقامها على دعائم أخلاقية وروحية تسمو كثيرا على ماجاء بميثاق هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٨ م .

وتقوم حقوق الإنسان فى الإسلام - كما يذكرها الدكتور بيومى مدكور - **على الحريات الخمس** التى تباهى الحضارة الغربية بالكشف عنها ، متجاهلة أن الإسلام قد وجه إليها من قديم وهى حرية الاعتقاد ، وحرية الرأى والتعبير ، وحرية العمل ، وحرية التعلم ، وحرية التملك والتصرف(٢) .

٦ - **العالمية** : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ الأنبياء : ١٠٧ ﴿ **قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا إله هو يحيى ويميت** ﴾(٣) (الأعراف : ١٥٨)

٧ - **تفوق النموذج الإسلامى** :

ووفقا للمفاهيم السياسية المعاصرة يظهر تفوق النموذج الإسلامى للحضارة كما يقرر الدكتور حامد ربيع ذلك بقوله :

---

(٢) د. إبراهيم بيومى مدكور : فى الفكر الإسلامى ص ١٧٠ ، سميركو للطبع والنشر سنة ١٩٨٤ م .

(٣) ينظر الدراسة الشاملة الممتازة لفضيلة الشيخ محمد الراوى بكتابه (الدعوة الإسلامية دعوة عالمية) وتقع فى نحو ٦٠٠ صفحة من الحجم الكبير ، دار العربية - بيروت .

(فهو نموذج واضح لحضارة سائدة استطاعت خلال أقل من قرن أن تسيطر على جميع الشعوب الممتدة من وسط آسيا حتى نهاية غرب البحر المتوسط . أيديولوجيتها واضحة ومحددة : نشر الدعوة وفرض السلام الإسلامي حيثما استطاعت القوة والإرادة العربية أن توطد أقدامها .

كذلك فإن الاستمرارية التاريخية تميز الحضارة الإسلامية وتجعل منها النموذج الوحيد الذى يربط - دون أى قطيعة - العالم القديم بالعالم المعاصر)(٤) .

٨ - القوى الفعلية الكامنة فى الأمة :

وإذا أقررنا بأن الأرقام هى أدق لغة علمية ، فقد قام المهندس الدكتور مصطفى مؤمن بعمل إحصائية معبرة عن العالم الإسلامى ، والمطلع عليها سيقتنع بنفسه بمدى قوة هذا العالم وإمكانياته الهائلة وقدرته على استئناف حضارته من جديد .

يقول د. مصطفى مؤمن :

[والآن ، ما ظننا بدولة شامخة تحتل رقعة من الأرض مساحتها ٣٠,١٢٧,٦٠٩ كيلومترا مربعا ، وتعدادها ٧٧٠,٥٩٥,٠٠٠ نسمة ، وقوتها الضاربة البرية قوامها ٢,٩٥٧,٤٠٠ جندى ؛

---

(٤) د. حامد ربيع : سلوك المالك فى تدبير الممالك ص ١١٩ ط ١ ، دار الشعب ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

وأسطولها البحرى يضم ٨٨١ قطعة ، وسلاحها الجوى يتألف من ٣٨٤٦ طائرة مقاتله وقاذفة وناقلة ، ودخلها السنوى يزيد على ٦٣٥٧٧ مليون دولار أمريكى ؟

وقبل هذا وبعده دولة دينها الحق والحق واحد ، وقبلتها واحدة ودستورها الدائم واحد هو الكتاب المكنون .

أظن أن هذه غاية ما يرجو كل مسلم على الأرض ويقينى أنه لو قامت هذه الدولة الشامخة يوما لنافست بل ناجزت الدولتين المتعاليتين (الولايات المتحدة) ، و (الاتحاد السوفيتى) على السواء .

فهل يمكن أن يتحقق ذاك الحلم الجميل الذى يداعبنا فى غمرة من اليقظة أو فى نوبة من الرقاد ، إنه ليس حلما ، لقد كان حقيقة بالأمس وأراه اليوم غير بعيد المنال][٥] .

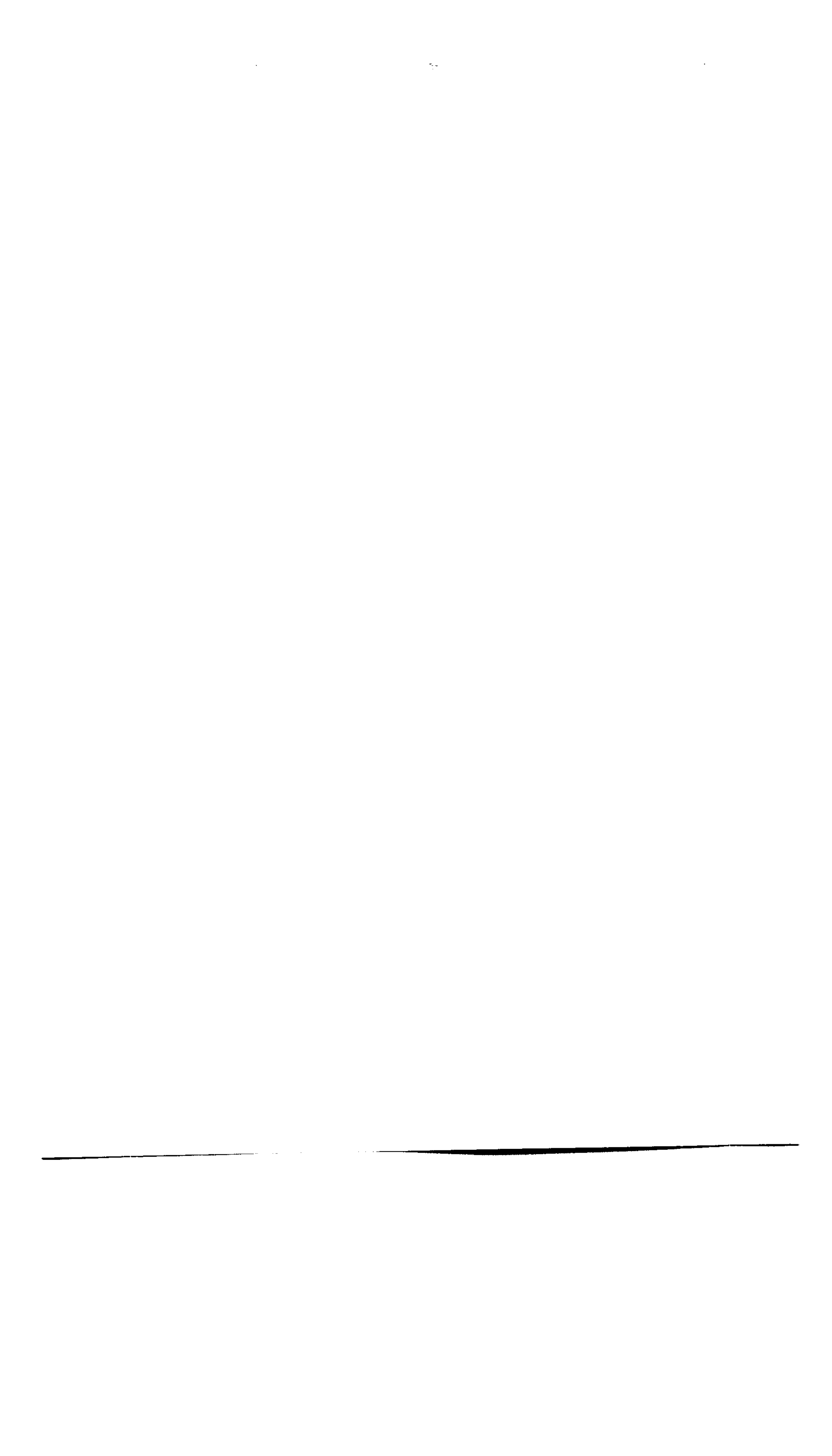
﴿ ويسألونك متى هو ؟ قل عسى أن يكون قريبا ﴾ .

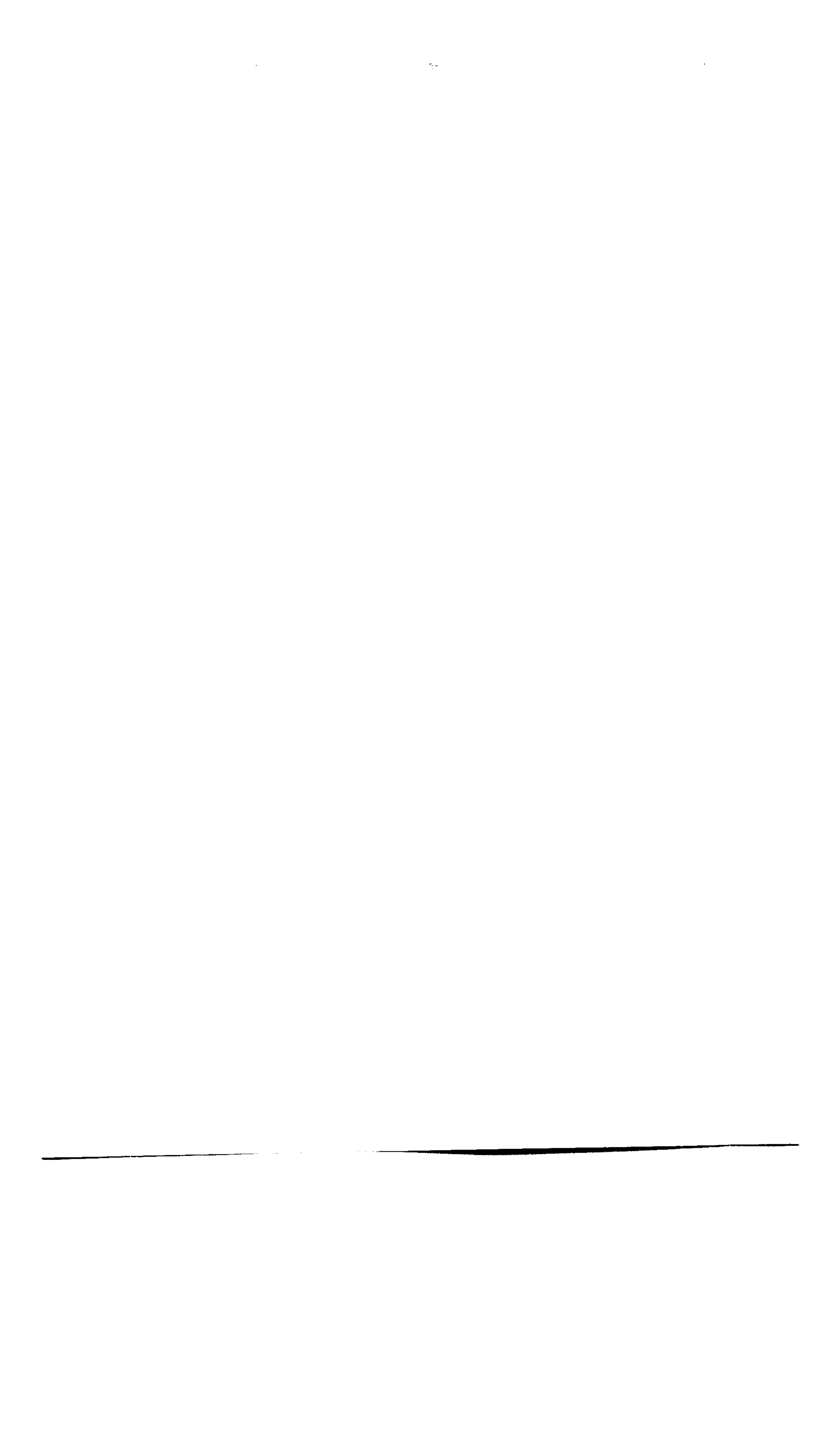
---

(٥) يُنظر كتاب (قسمات العالم الإسلامى المعاصر) ط دار الفتح ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .

(٤)

لكى لا ننسى
أو
الاستعمار الغربي
وآثاره في العالم الإسلامي





لكيّ لا ننسى :

الاستعمار الغربى وآثاره فى العالم الإسلامى

ربما لا يخفى على الكثيرين أن الاستعمار ما زال يحدد صلتنا بالغرب ، وأنه يتحمل مسئولية كبرى عن أحوالنا المتردية ، فإذا ما قام المسلمون لينفضوا عن أنفسهم آثاره باحثين عن الأصالة والذاتية من جديد ، فما وجه الغرابة فى حركة اليقظة الإسلامية ما دام هذا هو هدفها ؟

إن هذا هو المتوقع بعد الجرائم التى ارتكبها الاستعمار فى حق أمّتنا ، وهذا ما يذهب إليه جارودى فى تعليله لما يسمّيه بموجة التعصب فى بعض بلدان العالم العربى - الإسلامى (**وهو فى حقيقته حرص على المحافظة على الذاتية**) ، فيقول :

(علينا ألا ننسى مسؤولية الغرب فى ذلك ، فخلال كل مراحل الاستعمار والانتداب وحتى أيامنا هذه ، حيث الاستعمار الجديد والشركات الرأسمالية ، كانت مظاهر الحسم والسلطة تأتى من خارج الحدود وما تزال ، ولهذا فطبيعى أن يكون (رد الفعل) الأول

للدفاع عن النفس هو القطيعة مع (الخارج) والانكفاء أو الانطواء على الذات)[1] .

وقد علل جوستاف لوبون الروح العامة للعداء الأوروبي نحو... بسبب الحضارة الإسلامية الساحقة ، وكشف عن الأحقاد الموروثة منذ الحروب الصليبية ، والنزعة العنصرية التي لا تعترف لأحد بالتساوي مع حضارة الغرب المتوارثة من اليونان واللاتين .

يفصح لوبون عند ذلك كله بقوله : (فالحق أن أتباع محمد « صلى الله عليه وسلم » ظلوا أشر - (هكذا) ! - ما عرفته أوربا من الأعداء إرهابا عدة قرون ، وأنهم عندما كانوا لا يُرعدوننا بأسلحتهم ... في زمن شارل مارتل والحروب الصليبية ، أو يهددون أوربا بعد فتح القسطنطينية ، كانوا يذلوننا **بأفضلية حضارتهم الساحقة** . وإننا لم نتحرر من نفوذهم إلا بالأمس .

وتراكمت مبتسراتنا الموروثة ضد الإسلام والمسلمين في قرون كثيرة ، وصارت جزءا من مزاجنا ، وأضحت طبيعة متأصلة فينا تأصل حقد اليهود على النصارى الخفي أحيانا والعميق دائما .

.. زاد مع القرون بفعل ثقافتنا المدرسية البغيضة القائلة أن اليونان واللاتين وحدهم منبع العلوم والآداب في الزمن الماضي ، أدركنا

(١) ما يعد به الإسلام ص٢٤٦ ، روجيه جارودي ترجمة قصي أتاسي - ميشيل ... دار الوثبة - دمشق ١٩٨٣م .

بسهولة ، من جحودنا العام لأثر العرب العظيم في تاريخ حضارة أوربا)[2] .

ويتضح صحة تعليل جوستاف لوبون إذا ما بحثنا في ظروف نشأة بعض الساسة المعاصرين المؤثرة في تكوين شخصياتهم . حتى تثمر في النهاية اتخاذ قرارات متعصبة ضد الشعوب الإسلامية ، إذ تبين للأستاذ سيد قطب رحمه الله أثناء وجوده بأمريكا أن الكثرة الحاكمة هناك (تخرجوا في المعاهد التبشيرية . وهي حقيقة أفضى إلي بها أحد الأساتذة الإنجليز الذين التقيت بهم في أمريكا ، وعدد لي عشرات من الأسماء البارزة في وزارة الخارجية الأمريكية وفي السلك السياسي)[3] .

الاستعمار العسكري ومآسيه وآثاره في العالم الإسلامي :

جاء الغزو الاستعماري من الأبواب الخلفية للعالم الإسلامي في العصر الحديث وكأنه لقي الدرس القاسي عندما واجه العالم الإسلامي بغزو قلبه - أي مصر والشام وفلسطين - إبان الحروب الصليبية ، فجاء هذه المرة من الأبواب الخلفية حيث استولى على جزر الهند الشرقية وأندونيسيا في القرن السابع عشر ، والهند سنة ١٧٦٣ ، كذلك الملايو . وبعد ذلك هاجم البلاد المواجهة لأوروبا ، فاستولى

---

(٢) حضارة العرب ، جوستاف لوبون ص ٢١ - ٢٢ ترجمة عادل زعيتر - ط الحلبي سنة ١٩٦٩ م .

(٣) معركة الإسلام والرأسمالية ، سيد قطب ط دار الشروق ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .

على الجزائر سنة ١٨٣٠ وتونس ١٨٨١ ومصر فى عهد نابليون سنة ١٧٩٨ م ثم انجلترا سنة ١٨٨٢ م والسودان . كما اكتسح أفريقيا أيضا .

ولم ينفرد الاستعمار الأوروبى الغربى وحده بحملات الاستعمارية للعالم الإسلامى بل شاركته أيضا روسيا القيصرية حيث توغلت فى بلاد الاستبس جميعا حتى القوقاز وتخوم إيران .

يقول الدكتور جمال حمدان : (ومن كشف الخسائر هذا يتضح أن العالم الإسلامى جميعا قد سقط تحت طرقات الاستعمار فيما عدا اليمن وقلب الجزيرة العربية لا لأنه مهد الإسلام بقدر ما كان لفقره .. وكذلك نستثنى هضبتا إيران والأناضول ، ولو أنهما لم ينجوا من مناطق النفوذ والتقسيم .

ومن هنا فقد **كان التحدى تحدى حياة أو موت بالنسبة للإسلام** ، وأعاد إلى الأذهان ذكرى الصليبيات . ولم يحاول الاستعمار الأوروبى من جانبه أن ينكر هذا ابتداءً من اللنبى فى القدس حين أعلن أنه « الآن انتهت الحروب الصليبية » إلى جورو فى دمشق حين أطلق شماتته المعروفة « قد عدنا يا صلاح الدين »(٤) .

ويعبر هذان القائدان العسكريان عن (اللاشعور) فى أعماق النفسية الغربية ، بالإضافة إلى الاستجابة إلى مناهج التعليم الدينية

---

(٤) د . جمال حمدان — العالم الإسلامى المعاصر ص ١٣١ — ١٣٢ — ط عالم الكتب بالقاهرة .

والتاريخية بالمدارس والجامعات التى تعكس تجارب الغرب فى تحدياته للشرق الإسلامى . يقول توينبى (فمنذ قرون طويلة كان أسلافنا يرون فى الإسلام خطرا مخيفا يتهددهم قبل أن يسمع الناس بالشيوعية . ففى القرن السادس عشر – وهو الزمن القريب منا نسبيا – كان الإسلام يبعث فى قلوب الغرب من الهوس ما تبعثه الشيوعية فى القرن العشرين ، وهذا يرجع فى جوهره إلى أسباب واحدة : ذلك أن الإسلام – كالشيوعية – كان يعتبر حركة مناهضة للغرب وبدعة دينية مخالفة لديانة الغرب فى الوقت نفسه . وكان الإسلام يستخدم – كالشيوعية – سلاحا روحيا **لا يمكن مقاومته بالأسلحة المادية**) !![٥] .

ولا نحتاج أمام مثل هذه الأقوال وغيرها إلى إقناع أنفسنا والقراء معنا إلى دوافع الاستعماريين نحو بلاد الإسلام وشعوبه وعقائده ، وإزاء هذا التحدى الاستعمارى العسكرى لقى مقاومة شديدة منذ أن وطئت أقدامه البلاد ، وظلت الشعوب الإسلامية تقاوم بشتى الأساليب والطرق لأنها عرفت بفطرتها ووعيها التاريخى أن الجيوش التى غزت بلادها لم تأت بغرض (التعمير) أو (التحضر والتمدن) كما أعلنت كذبا وخداعا ، وإنما جاءت لاحتلال الأراضى والاستكثار من الثروات بعد إذلال الشعوب وتسخيرها لخدمة الحضارة الغربية . وكانت مظاهر النفور بين الغالب والمغلوب

---

(٥) أرنولد توينبى / الحضارة فى الميزان ص ٢٩ / ٣٠ ترجمة: أمين محمود شريف ، مراجعة محمد بدران (وزارة التربية والتعليم – ط الحلبى) بدون تاريخ .

واضحة فى اختلاف العقائد والثقافات والنظم حيث سعت الدول المستعمرة (بكسر الميم) إلى فرضها على الشعوب المستعمرة (بفتح الميم) .

ويكفى الاطلاع على بضعة صفحات من كتب التاريخ الحديث لكى نستخلص ملامح الاستعمار وأساليبه التى تثبت أنه بعيد تماما عن أية قيم أخلاقية أو مبادىء إنسانية فإنه ليس دعوة إلى التعمير وزرع الخير والإسهام فى الإصلاح ، بل كان الإفساد ديدنه والقوة الغاشمة منهجه ، وإفساد الذمم والضمائر سبيله وهدفه لكى يستقر به المقام بالرغم من إرادة الشعوب المقهورة .

وخاضت هذه الشعوب معارك قاسية وقدمت الضحايا تلو الضحايا دفاعا عن عقيدتها وكرامتها وبلادها مما يرسم أمامنا لوحة خالدة يقف الباحثون أمامها للتأمل والدراسة للتعرف على خطوطها والتمييز بين ألوانها الزاهية المتداخلة .

ونقصد بذلك دعوة الباحثين للوقوف معنا أمام هذه اللوحة التى رسمتها الشعوب بدمائها لنستخلص منها مقدمة ونتيجة :

أولا : أن حركات مقاومة الاستعمار كانت بدوافع دينية وليست بدوافع وطنية أو قومية .

وهو ما جعل الدكتور جمال حمدان يقرر أنه (ليست صدفة تاريخية أو سياسية بالقطع أن يتحول العالم الإسلامى فى القرن الثامن

عشر ، ولكن بالأخص فى القرن التاسع عشر إلى حلبة عارمة تزخر بالحركات الدينية والتيارات والدوامات السياسية ، تضع الضغط والتأييد جميعا على الوحدة الإسلامية الكبرى أساسا ، وتتخذ بوصلتها (قبلتها) ماضى الإسلام البطولى (السلفية)(٦) .

ونرى أن هذه الحركات لم تندفع بوحى العاطفة الدينية المتأججة وحدها بقدر ما تستند أيضا إلى وعى تاريخى يقظ ، يقف على التلازم المضطرد بين الاستمساك بالإسلام كحائط فولاذى لمقاومة المعتدين من جانب ومقوم جوهرى للتقدم الحضارى بأوسع معانيه من جانب آخر ، كما سنبين ذلك عندما نتناول **طبيعة حركات المقاومة للاستعمار العسكرى** .

ثانيا : وهى النتيجة المنطقية المترتبة على سابقتها فى رأينا ، فكم صدرت من بحوث ومقالات تدور حول اليقظة الإسلامية المعاصرة تعليلا وتحليلا فتضطرب بين عوامل نفسية واقتصادية وسياسية وغيرها من العوامل فتتشابك بين يديها الخيوط وتتعقد ومن ثم تعجز عن فكها .

أما نحن فنرى الإمساك بأول الخيط وحينئذ تستقيم معنا النتائج ، وأول الخيط الذى نعنيه هو الاصطدام بالغزو العسكرى الاستعمارى حيث يشكل الإسلام بعقيدته وعباداته وشريعته وقيمه نقطة المقاومة الرئيسية إذ تسلحت به الأمة دفاعا عن نفسها وظلت تقاوم بصلابة

---

(٦) د . جمال حمدان - « العالم الإسلامى المعاصر » ص ١٣٢ - ١٣٣ .

كل محاولات الاستعمار للتسلط على دينها أو محو تراثها وتحويلها إلى تابع ذليل لدوله وثقافته .

وخدع الاستعمار نفسه حينما ظن بعد سنوات تتراوح بين قرن وعدة قرون على مدى مساحة العالم الإسلام ، ظن أنه انتصر نهائيا ، وأن تحديه هذه المرة بلغ غايته ، ولم يكن يعلم أن الإسلام فى أعماق الأمة يؤدى دوره المزدوج – أى المحافظة على ذاتية الأمة كما يمثل الدرع الذى دافع به عن كيانها فى نفس الوقت .

أجل ، الإسلام بمصدريه : كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ظلا فى قلب الأمة وبين أيديها تعض عليهما بالنواجذ ، والعبادات من صلاة وزكاة وصيام وحج تذكرها بالعبودية لله تعالى وحده ، وتحررها من عبوديتها لغيره كائنا من كان ، فضلا عن تراثها الفقهى والتشريعى وآثارها التاريخية التى تجسد حضارتها وتنعش ذاكرتها .

وكل ذلك يشكل **عوامل ثابتة** صاحبت الأمة الإسلامية منذ بعثة رسول الله ﷺ ، بينما تعبر موجات الغزوات العدائية فى تاريخها عن العوامل الثانوية التى تحرك الأمة وتوقظها كلما أخلدت للدعة وغفلت عن رسالتها . ويصدق ذلك التحليل منذ غزوات التتار إلى الحروب الصليبية إلى الغزوات الاستعمارية فى العصر الحديث .

وبالرغم من أن الاستعمار فى هذا العصر قد استفاد من دروس هزيمة أجداده الصليبيين فابتدع أساليب جديدة فى الغزو الثقافى – كما سنرى – إلا أن الإسلام ظل يؤدى دوره فى الأعماق .

ثم دار الرس دورته بعد أن فشلت خطط الاستعمار بنوعيها العسكرية والثقافية فى الإبقاء عليه فى ديارنا إلى الأبد كما كان يظن ويأمل ، حيث استيقظت الأمّة على حقائق مُرَّة عرفتها وخبرتها على يد الاستعمار بين الغزاة وعادت تقرأ فى كتاب ربها عز وجل آيات النصر وآيات الهزيمة . لكى تعمل فى ضوئهما ، وذلك لكى تصد عن نفسها أفاعيل الدول الاستعمارية التى كانت تريد القضاء على العقيدة ، لأنها عرفت من خلال تجاربها فى الحروب الصليبية أنها بمثابة الدرع لشعوبنا .

كانت فرنسا وإيطاليا وانجلترا على رأس الدول التى أتت بالمخازى والشنائع[٧] ولنكتف بنبذ يسيرة لتصوير بعضها بينما المصادر مليئة بكل ما هو مشين ومخجل للزاعمين بأنهم أهل الحضارة والرقى : فماذا فعلت فرنسا مع مسلمى المغرب ؟

إنها أصرت على تنصير المسلمين فبدأ الفرنسيون بهذه السياسة فى الجزائر ، وفصلوا بين الأمة البربرية والعرب وبثوا الدعاة والقسوس وشادوا المستشفيات والمدارس الفرنسية بنية تنصير الأهالى ، وتعمدوا رفع التعليم الدينى الإسلامى بقدر الاستطاعة ، وبلغ الهوس بالسلطة الفرنسية أن منعوا أى مسلم عربى من دخول مناطق البربر وتركوا الرهبان يجولون فى بلاد البربر كما يشاؤون .

---

(٧) ويعلل ذلك شكيب أرسلان بقوله : (وهذا كله إنما هو راشح من بقايا المبادىء الصليبية التى لم يتمكن العلم العصرى من اقتلاع جذورها من رؤوس الأوروبيين .

ومنع الحاكم الفرنسى سكان إحدى البلاد من بناء مسجد وأعطى الأرض التى كانت مخصصة له للرهبان ليبنوا فيها كنيسة بيمّا لا يوجد نصارى بهذه البلدة (زمور) الا الحاكم الفرنسى .

وحدِّث ولا حرج عن إلقاء بعض السكان بالسجن لأنهم طالبوا بالإبقاء على قضاتهم الشرعيين .. وغيرها وغيرها من إجراءات مخالفة لما تعهدت به فرنسا فى معاهدة (الحماية) التى نصت على (أن جميع الإصلاحات التى تقوم بها داخل المغرب لا تمس الدين الإسلامى فى شيء ولا تجلب أى ضرر على الحالة الدينية ولا تلحق أدنى مساس بنفوذ السلطان)[٨] .

وهناك فظائع أخرى ارتكبتها ايطاليا يتوقف القلم عندها مترددا من هول ما يجب أن يخط وما هى فى الحقيقة إلا نزر يسير من جرائم تملأ مجلدات حيث ارتكب جنود ايطاليا موبقات طوال عشرين سنة فى طرابلس الغرب مما (لم يسبق له مثيل إلا فى القرون الوسطى وقد يكون من باب النادر فى القرون الوسطى نفسها) !!

ويروى لنا شكيب أرسلان أحد هذه الموبقات التى تتلخص فى إخراج ثمانين ألف عربى من الجبل الأخضر من أوطانهم وأسكنوهم فى صحراء قاحلة وأماتوا بذلك جانبا كبيرا منهم وجميع

---

(٨) حاضر العالم الإسلامى ج ٣ ص ٣٣٢ .
وانظر الصفحات من ٣٢٩ إلى ص ٣٤٢ وتتضمن ما فعلته ايطاليا من جرائم أيضا ، وما خفى كان أعظم !!

مواشيهم وارتكبوا فى هؤلاء المساكين من الفظائع والشنائع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، وأخيرا اغتصبوا من أيديهم أطفالهم من ذكور وإناث ممن فوق سن الأربع إلى سن ١٥ سنة وحملوهم إلى ايطاليا لأجل تنشئتهم فى الدين المسيحى(٩) .

ويؤسفنا أن كبار فلاسفتهم كانوا مؤيدين لهذه المظالم ، بل يحاولون تبريرها بشتى الطرق ، وعلى سبيل المثال يقول مونتسكيو فى كتابه « روح القوانين » :

[إذا طُلب منى أن أدافع عن حقنا المكتسب لاتخاذ الزنوج عبيدا ، فإنى أقول : إن شعوب أوروبا بعد أن أفنت سكان أمريكا الأصليين ، لم تر بداً من أن تستعبد شعوب أفريقيا لكى تستخدمها فى استغلال كل هذه الأقطار الفسيحة ، والشعوب المذكورة ما هى إلا جماعات سوداء البشرة من أخمص القدم إلى قمة الرأس وأنفها أفطس فطسا شنيعا ، بحيث يكاد أن يكون من المستحيل أن ترثى لها ، ولا يمكن للمرء أن يتصور أن الله – سبحانه وتعالى وهو ذو الحكمة السامية قد وضع روحا – وعلى الأخص روحا طيبة – فى داخل جسم حالك السواد](١٠) .

---

(٩) المرجع السابق جـ٣ ص ٣٤٠ – والمآسى مازالت مستمرة وما مذابح صبرا وشاتيلا بلبنان منا ببعيد !!

(١٠) نص مترجم من الفرنسية بقلم الدكتور محمد عوض محمد بكتاب (الاستعمار والمذاهب الاستعمارية) ص ٣٧ ، دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٧ م .

ونعرض على القارئ أيضا فى عجالة صورة أمينة تخبرنا بحقيقة دوافع الاستعماريين لبلادنا الإسلامية وتقويمهم لها . هذه الصورة منقولة من كتاب (معارف) لأرنولد توينبى توضح لنا أبعاد المؤامرة الاستعمارية على بلادنا إبان مؤتمر السلام سنة ١٩١٩ . قال : (ذات يوم كان على أن أسلم بعض الأوراق إلى لويد جورج – رئيس وزراء بريطانيا حينئذ – على أثر انتهاء أحد الاجتماعات الخاصة بالشرق الأوسط . إننى كثيرا ما رأيت لويد جورج ورأيته يتكلم ، ولكن كانت هذه المناسبة الوحيدة التى قابلته فيها . ولقاء هذا معه لم يستمر أكثر من دقيقة أو دقيقتين ، ولكنه كان ما أسرنى – وبدأ يفكر فى صوت مرتفع كما يلى : (**ما بين النهرين .. نعم .. نفط رى ، يجب أن نأخذ ما بين النهرين ، فلسطين .. نعم الأرض المقدسة . الصهيونية يجب أن نأخذ فلسطين ، سوريا .. ها .. ماذا فى سوريا ؟ ليأخذها الفرنسيون) !!!**

وعلق توينبى على هذه الواقعة المذهلة بقوله : (إن حوار لويد جورج الذاتى اللاواعى قد كشف عن معرفة ذكية لمزايا الأقطار العربية العثمانية ، السياسية والاقتصادية) .

ولكنه ببقايا من نبض الضمير الحى ، اعترف بأنه لم يكن هناك ذكر مسموع للعامل الإنسانى الذى كان موضوع تحرى وتقرير لجنة

تنج زكرين ، وأخذ على لويد جورج أنه عندما حدد (النقاط) فى الدول العربية ، أهمل حقوق العرب أنفسهم وأمانيهم(١١) .

ومتى كان هؤلاء يعنون بحقوقنا وأمانينا ؟!!!

وكلما توسعنا فى القراءة والإطلاع . ظهرت لنا أبعاداً أخرى لدوافع الغرب وراء تطلعاته وغزواته الاستعمارية لبلاد الإسلام ، وتتضح هذه الدوافع فى الفكر الفلسفى لبعض فلاسفته الذين قدموهم إلينا فى ألوان براقة لامعة ، وأخفوا عن عمد نواياهم الخفية وأحقادهم المدفونة بين ضلوعهم ، والتى تظهر من ثنايا تعاطفهم ومناصرتهم لليهود ضدنا .

وتأملوا معنا بعض أقوالهم :

يقول **لوك** : إن الله تعالى قادر على جمع اليهود فى كيان واحد .

ووصف **كانط** اليهود بأنهم الفلسطينيون الذين يعيشون بيننا .

ويرى **روسو** أنهم لن يعرفوا الدوافع الداخلية لليهود أبدا حتى تكون لهم دولتهم الحرّة ومدارسهم وجامعاتهم .

---

(١١) مقال الأستاذ صدقى عبد الله خطاب - أرنولد توينبى ص ٢٩٥ .
بمجلة (عالم الفكر) بالكويت - المجلد الخامس - أبريل - مايو - يونيو سنة ١٩٧٤ م
ولاشك أنه قد حدث مثل ذلك فى المؤتمر الثانى - سنة ١٩٤٦ عقب الحرب العالمية الثانية إذ قال : (إن الساعات الكثيرة التى أنفقتها فى المؤتمرين (الأول فى مؤتمر الصلح سنة ١٩١٩ والثانية سنة ١٩٤٦ مصغيا ، أصبحت جزءا قيما جدا من ثقافتى) .

أما الأوصاف الواردة بالأدب الجديد فهي تطلق على الأتراك ألفاظاً مثل (الكافر الفظ) و (التركى الرهيب)(١٢) .

إن الاستعمار كظاهرة صاحبت الإنسان والمجتمعات البشرية على مدار التاريخ ، تعبر عن محاولة سيطرة القوة الغاشمة على أصحاب الحق الضعفاء وأخذت تلبس أثوابا مختلفة كانت أحيانا عسكرية أو اقتصادية وسياسية أو الآن فى ظل ما يسمى بالشركات متعددة الأجناس . ويخبرنا التاريخ بأن هذه الظاهرة إما تظهر على السطح سافرة واضحة تمثل غلبة القوى الشيطانية على قوى أو أهل الحق الضعفاء ، أو تتخفى فى أشكال وتلبس أردية لتخفى وجهها القبيح .

ولكنها ظلت موجودة وما زالت ماثلة أمامنا .

وما جاء الأنبياء والرسل عليهم السلام إلا لإنقاذ البشر من الوقوع تحت براثن قوى البغى فنادوا بالتوحيد أولا لتحرير البشر من عبوديتهم للملوك والأباطرة والكهنة إلى العبودية لله وحده .

وهل نغفل الآية الكريمة : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** ﴾؟! الأنفال : ٦٠ .

---

(١٢) ينظر كتاب ريجينا الشريف : الصهيونية غير اليهودية جذورها فى التاريخ الغربى ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز (عالم المعرفة) .الكويت ربيع الأول سنة ١٤٠٦ هـ - ديسمبر سنة ١٩٨٥ م . ص ٧٩ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ .

حقا إنهم أعداء لله تعالى وأعداء أهل الحق !

- لقد أحكم أخطبوط الاستعمار بأنواعه المختلفة (عسكرية – اقتصادية ثقافية – سياسية – اتصالية) وأخذ يفترض أساليب جديدة متنوعة تبعا لأحوال ضحاياه حيث ظهرت فى العصر الحاضر أحدث وسائله فيما يسمى (بالشركات متعددة الجنسية) ، وفرض سيطرته على الدول التى استقلت صوريا بحيث جعلها لا تستطيع الحياة إلا تابعة للنظام الاقتصادى الدولى الذى تسيطر عليه الدول المتقدمة (أى المستعمرة)[١٣] .

إننا لا ننكر الدوافع المختلفة التى أشار إليها الباحثون وراء ظاهرة (الاستعمار) كالتخلص من الزيادة السكانية أو نشر ثقافة وأيديوجية ، أو عوامل نفسية وغيرها – ولكن تبقى نظرية البقاء للأقوى أكثر وضوحا وظهورا على أحداث التاريخ ووقائع عصرنا الحاضر أيضا ، مما يجعلنا نُغلب الرأى القائل بأن الاستعمار (ينتج طبيعيا عن ظاهرة **القوة** التى يتميز بها الوضع الدولى)[١٤] ، أى سيظل السيطرة للأقوى وهى حقيقة تاريخية ومعاصرة ، وإلا فهل نستطيع التغاضى عن استخدام القوة العلنية التى تمارسها القوى المتعالية كالاتحاد السوفيتى فى أفغانستان وما تزال فى الجمهوريات

---

(١٣) الاستعمار كظاهرة عالمية (حول الاستعمار والامبريالية والتبعية) د. حورية توفيق مجاهد ص ١٧٧ . ط عالم الكتب سنة ١٩٨٥ م وينظر أيضا ص ١٥٠ و ص ١٥٨ .

(١٤) المرجع السابق ص ٤١ ولزيادة الإيضاح ينظر نفس المصدر ص ٦٥ ، ٧٠ .

الإسلامية خاصة أو الولايات المتحدة الأمريكية فى دول أمريكا الجنوبية ، وفى بلادنا الإسلامية بواسطة إسرائيل ؟

وبعد الاقتناع بهذا التفسير الماثل أمامنا لم يبق إلا تسليح الأمة بدرعها المعنوى الممثل فى عقيدتها الإسلامية مقترنا بالتسلح المادى الذى عبرت عنه الآية الكريمة بـ ﴿ **ما استطعتم من قوة** ﴾ .

ولا ننسى أننا أمة ذات رسالة عالمية مكلفة بإنقاذ بنى آدم من سيطرة شياطين الإنس ، لم يكن عجبا إذن أن تتصدى الأمة لمقاومة هؤلاء الغزاة بدافع عقيدتها ، فظهرت حركات المقاومة كلها على أساس الجهاد ببذل الأموال والأنفس لصد الهجمات الاستعمارية ، وكلها **تشكل الخلفية الصحيحة لحركة اليقظة الإسلامية المعاصرة ، إذ تعبر عن استمرارية حركة المقاومة ضد الغزو الاستعمارى الذى لم ينقطع .**

أجل ، فإن الأمة كانت على يقين بأن الإسلام هو درعها لصد الهجمات الخارجية بالجهاد والمقاومة المستميتة التى تعبر فى ذروتها عن طلب الشهادة ، وتابعوا إن شئتم حركة - الجهاد الأفغانية التى انتصرت على أعتى القوى العسكرية المعاصرة .

وعندما انحسرت موجة الاستعمار بصورة عامة عن بلاد المسلمين ، وفشلت التجارب المستوردة - أو المفروضة علينا - من الشرق والغرب ، عادت الأمة إلى الإسلام فى هذه الحالة كثقافة وقيم ونظم للحياة .

حركات المقاومة للاستعمار كانت كلها من منطلق (الجهاد)

إن حركات المواجهة والتصدى للغزو الاستعمارى عسكريا انطلقت تحت راية الإسلام وبدافع الجهاد فى سبيل الله لدفع العدو من احتلال ديار المسلمين وليست بدافع الوطنية أو القومية أو العرقية أو غيرها من شعارات التى جاء الإسلام لدحضها حيث وضع ميزانا آخر للتقويم بقوله تعالى : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ وحديث الرسول ﷺ : « لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى »[١٥] .

فلا عجب إذن أن قام قادة المسلمين من العلماء والأمراء بحث الأمة على الجهاد ودفع مخاطر المعتدين ، ولم يأبهوا بتفوق جيوش الغرب فى السلاح والعتاد – منهم عبد القادر فى الجزائر ، والمهدى فى السودان – كما انفجرت الثورات فى أفغانستان والهند وفى وسط آسيا ، وانتشرت حتى امتدت شرقا فبلغت الأقطار الصينية ، فقام الصينيون ثورتهم الكبرى فى تركستان الصينية . واشتعلت ثورة فى جزائر الهند الشرقية (أندونيسيا) ضد هولندا[١٦] .

---

(١٥) الحديث: (إن الله أذهب عنكم عصبية الجاهلية وفخرها بالآباء ، إنما هو مؤمن تقى ، أو فاجر شقى ، الناس بنو آدم ، خلق من تراب ، لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى) . رواه الترمذى .

(١٦) لوثروب ستودارد : « حاضر العالم الإسلامى » جـ١ ص ٧٣ ، ٨٣ ، ٩٣ ، ١٠٢/١٠١ ترجمة عجاج نويهض وتعليق وتقديم الأمير شكيب أرسلان ط : القاهرة ١٣٤٣ هـ – المطبعة السلفية .

ولكى نواصل خط السير ، ونربط حلقات السابق باللاحق ، ونعرف حقيقة أنفسنا فى الوقت الحاضر ، يجب علينا بحث إحدى حلقات السلسلة المفقودة فنقف لنبحث - هل أخفقت هذه الحركات الإسلامية إخفاقا تاما ؟ أم أنها مع إخفاقها فى صد الغزو الاستعمارى بقيت مشتعلة تحت الرماد تغذى الأجيال تلو الأجيال ؟

وهل نحن فى حاجة إلى تذكرة البعض بأن عقيدة الإسلام هى درع الأمة ، صدت به عن نفسها الغزوات والأخطار ، ومازال هذا الدرع وحده الكفيل بوقوفها على أرجلها من جديد بعد أن ترنحت وفقدت توازنها بسبب الجراح الثاخنة والطعنات الموجعة ؟ وإذا كان الجسد قد ترنح وفقد توازنه ، فإن الروح ما زالت قوية صامدة تتحدى الطعنات !

لذلك فنحن فى حاجة فقط إلى تذكرة بعض أبناء جيلنا بهذه الحقيقة التاريخية الثابتة - حيث نسى البعض منا ذلك بسبب المعالجات المغرضة لتاريخ أمتنا حيث ساهمت القوى الغازية وأعوانها فى إسدال ستار النسيان على حقبة الاستعمار وقصص شعوبنا فى مقاومته لكى تبقينا فى دوامة الحيرة ، باحثين عن أنفسنا وعن وسائل المقاومة الجديدة بإعادة توازننا لكى نستأنف خط سيرنا مرة أخرى من حيث انتهى أجدادنا وآباؤنا إلى مقاومة الاستعمار من منطلق العقيدة الإسلامية وهويتنا الحضارية الذاتية الأصيلة .

فهل نستطيع أن نذكر أنفسنا وبنى قومنا مرة أخرى بهذه الوقائع التى سجلها التاريخ ؟

ربما يواجهنا سؤال عن سبب إخفاق هذه الحركات بينما نجحت حركات مماثلة سابقة فى صد الغزاة أيام الصليبيين والتتار . وسنحاول الإجابة على هذا السؤال أولاً قبل الدخول فى بيان وقائعها بالتواريخ والأرقام .

ربما يرجع أسباب إخفاق هذه الحركات فى التصدى فى البداية لأن القوى الغربية كانت متفوقة عسكريا ، حيث جابه المسلمون قوى أعتى منهم ، كذلك فإن التوقيت الزمنى عند الاصطدام كان فى صالح القوى الغازية لأنها كانت فى فترة ذهبية ولأنها كانت تستند إلى مجتمعات متفوقة علميا واقتصاديا وسياسيا ، وما الجيوش إلا رأس حربة لها . هذا ، بينما افتقدت القاعدة الجماهيرية المسلمة التى يستند إليها الأبطال المسلمون نفس المزايا ، بل إن المجاهدين كانوا بمثابة طلائع فذة متفوقة بمواهبها وقدراتها وعبقريتها الخاصة ، فلما استشهدت أو ماتت لم تكن كوادر الصفوف الثانية على نفس المستوى ، فضلا عن الجماهير التى أنهكتها المقاومة مع تزايد الأساليب الشرسة التى استخدمها الاستعمار فى القهر .

وكما أن الأسلحة مهما بلغت قوتها تحتاج إلى ذخيرة ، فإذا نفذت لم تعد لهذه الأسلحة أية فاعلية ، كذلك فإن استشهاد هذه الطلائع

أصاب حركات الجهاد الإسلامى بطعنات مؤثرة ولكنها ليست قاتلة ، لأن الجذوة ظلت مشتعلة .

ولاشك أن القوات العسكرية الغازية كانت تستمد مقومات النصر من التفوق الغربى فى العلوم التجريبية ونتائجها المتحققة فى تطوير الأسلحة وتنظيم الجيوش بقواتها الثلاث البرية والجوية والبحرية ، فضلا عن الكوادر المنظمة وراء هذه الجيوش حيث تمونها وتخدمها وتقدم لها العنصر البشرى وتمدها بالأسلحة والذخيرة والخبرات العلمية العسكرية بالكليات المتخصصة .

ومما يجدر ذكره أيضا ظهور عناصر الخيانة ، وتجنيد ذوى النفوس الضعيفة التى لا تخلو منها أمة أو مجتمع ، بإغراء الأموال والمناصب وغيرها من المغريات .

وتصبح خطوتنا التالية تفسير وتحليل حركات المقاومة التى جابهت الاستعمار وقاومته ببسالة وقدمت التضحيات تلو التضحيات ولم تخفق إلا لأسباب خارجة عن إرادتها :

حركات مقاومة الاستعمار :

سنعتمد فى دراستنا على بحث قام به عالم غربى هو الدكتور رودلف بيتزر الذى سجّل حركات مقاومة المسلمين للاستعمار فى المناسبات الآتية تبعا لتاريخها الزمنى :

١ – مقاومة المسلمين للاستعمار البريطاني في الهند .
٢ – المقاومة الجزائرية بقيادة الأمير عبد القادر ضد الاستعمار الفرنسي .
٣ – الحركة المهدية في السودان .
٤ – المقاومة المصرية بقيادة أحمد عرابي ضد الاحتلال البريطاني لمصر .
٥ – مقاومة السنوسي للاستعمار الإيطالي في ليبيا .
٦ – إعلان الجهاد العثماني سنة ١٩١٤ م
٧ – المعارضة الدينية للاستعمار البريطاني وللصهيونية في فلسطين(١٧) .

أما تحليل أسباب الإخفاق في هذه الحركات – التي كانت لعقيدة الجهاد أهمية كبرى في مقاومة الاستعمار الغربي – هذه الأسباب ترجع إلى عوامل مختلفة سنعرض لبعضها حيث تعدد في أصولها إلى ماظهر من خيانة في صفوف بعض حركات المقاومة أو تفوق القوة العسكرية لدول الاحتلال أو استخدام بعض علماء السوء لإستصدار الفتاوى لتبرير ترك المقاومة المسلحة .

---

(١٧) الإسلام والاستعمار (عقيدة الجهاد في التاريخ الحديث) ص ٥٧ – ٥٨ والمؤلف أستاذ بمعهد الدراسات العربية الإسلامية بجامعة أمستردام. الترجمة العربية– دار شهدى للنشر بالتعاون مع المعهد الهولندى للآثار المصرية والبحوث العربية – القاهرة سنة ١٩٨٥ م وقد اعتمدنا على هذا الكتاب كمصدر رئيسى في عرض حركات المقاومة الإسلامية للاستعمار العسكرى الغربى .

١ – **فى الهند** استطاعوا تجنيد سيد أحمد خان حيث استجاب لهم بإصدار فتوى يزعم فيها أن الجهاد ضد الإنجليز غير شرعى[١٨] .

– وكان الإنجليز قد أفردوا المسلمين – دون الهندوكيين – بالقهر المتعمد ، فأبعدوا المسلمين من الوظائف الحكومية والقضاء والشرطة وأحلوا محلهم الهندوكيين بأعداد متزايدة إذ أظهروا استعدادا أكبر للتأقلم مع الظروف الجديدة[١٩] .

٢ – **الجزائر :**

واستندت حركة مقاومة الاستعمار الفرنسى فى الجزائر أيضا إلى العقيدة الدينية حيث (اتخذ الأمير عبد القادر الإسلام باعتباره قوة توحيد يجمع القبائل بعضها إلى بعض وليتغلب على النزعات القبلية الضيقة الكامنة فى المجتمع الجزائرى)[٢٠] .

كذلك بذل ما فى وسعه للحكم بمقتضى الشريعة ومحافظا فى الوقت نفسه على عقيدة التوحيد حيث حمل حملة شعواء على البدع وخاصة تقديس الأولياء واعتبر النضال ضد الفرنسيين جهادا .

---

(١٨) المرجع السابق ٦٨ – ٦٩ .
(١٩) المرجع السابق ص ٧٠ .
(٢٠) المرجع السابق ص ٧٤ ، ٧٥ .

٣ – السودان :

وقامت حركة المهدى ١٨٤٤ – ١٨٨٥ م فى السودان أيضا على أساس إنشاء دولة تحكمها مبادىء القرآن والسنة ، وكان أتباعه يبايعونه على ذلك .

٤ – **حركة أحمد عرابى فى مصر :**

كانت حركة أحمد عرابى ضد الغزاة الإنجليز نابعة من عقيدة الجهاد فقد نشرت (الوقائع المصرية) وهى الجريدة الرسمية لمصر إعلان الجهاد ، ودعا العلماء فى طول البلاد وعرضها إلى الجهاد وحثوا المصريين على تأييد الجيش ضد الكفار .

والقارىء لصيغة الإعلان يلاحظ أنه كان يدعو إلى نصرة الدين لردع كل من العدو والخائن الحقير (الخديوى) ويتضمن قول الله تعالى : ﴿ **قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين** ﴾ التوبة : ١٢٣ .

وعلل كثير من العلماء فى بياناتهم للشعب سبب الغزو إلى سلوك الحكام المخالف للإسلام واتخاذهم الكفار أولياء واقتفاء آثارهم فى التعامل والسلوك بلا مبالاة بأحكام الإسلام[٢١] .

---

(٢١) المرجع السابق ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

د – السنوسي في ليبيا :

من المعروف أن الطريقة السنوسية كانت فى الأصل تلتزم بالإسلام وتسعى إلى تطهيره من البدع الدخيلة . كما عارض أتباعها كل من ثورة تركيا الفتاة العلمانية سنة ١٩٠٨ م وخلع السلطان عبد الحميد الثانى سنة ١٩٠٩ م .

وعندما أقدمت ايطاليا على احتلال ليبيا أصدر السيد أحمد الشريف (١٨٧٣ - ١٩٣٣) - وهو حفيد مؤسس الطريقة - بيانا بالجهاد موجها إلى كل المسلمين وبخاصة فى البلاد التى احتلها أعداء الدين تضمن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تحض على الجهاد .

وقد ظلت حركة المقاومة مستمرة بصورة أو بأخرى منذ إعلان ذلك البيان سنة ١٩١٢ مما اضطر الإيطاليين للاعتراف بسيادة السنوسية ثم تغير الوضع بوصول الفاشيين إلى الحكم فى ايطاليا إلى أن انتهى النضال بقيادة الشيخ البطل عمر المختار الذى استشهد سنة ١٩٣١ م(٢٢) .

٦ – **الجامعة الإسلامية وإعلان الجهاد فى الخلافة العثمانية :**

وكان إعلان الجهاد أيضا هو وسيلة الخلافة العثمانية فى حربها مع الروس والفرنسيين والإنجليز عام ١٩١٤ م حيث صدرت عدة

(٢٢) المرجع السابق ص ١٠٧ / ١١٣ .

فتاوى تستحث المسلمين فى البلاد[٢٣] الخاضعة لحكم هذه الدول على الجهاد والثورة على حكامهم .

ويعلل مؤلف كتاب (الإسلام والاستعمار) عدم اندلاع أى ثورة مناهضة للاستعمار بالقمع الذى مارسته السلطات الاستعمارية إذ اعتقلت الزعماء الموالين للأتراك وحظرت كل الكتابات الموالية للأتراك ، ولكنها فى الوقت نفسه استصدرت الفتاوى من بعض علماء السوء مؤداها أن طاعة بريطانيا فريضة شرعية ، أى عرفت كيف تطوع المفاهيم الدينية لصالحها بناء على فهم ووعى بنفسية الجماهير .

ويبدو هذا التصرف معقولا لدولة تسعى لتحقيق مصالحها وفق مبادىء ميكافيللى السياسية ، ولكن الأمر يشكل عقبة أمامنا عندما نحاول فهم تصرف (الشريف) حسين الذى خدع بوعود الإنجليز

---

(٢٣) مثل القرم وقازان وتركستان وكيفا والهند والصين وأفغانستان وفارس و[illegible] وغيرها . والجدير بالذكر أن الشريف حسين والى مكة المكرمة رفض الارتباط [illegible] العثمانى ، وكان الإنجليز قد فاتحوه من قبل بخطط ثورة عربية ضد الأتراك .

ويعتبر موقف حسين هذا مخالفاً لما كان عليه كثير من المثقفين المسلمين المتوجسين [illegible] من تزايد النفوذ الاقتصادى والسياسى الغربى فى العالم الإسلامى وكانوا يميلون [illegible] المسلمين جميعا تحت زعامة السلطان العثمانى حيث يرون أنه الوسيلة الوحيدة لمقاومة [illegible] الغربية . (الإسلام والاستعمار ص ١١٦ ، ١١٧) .

وانتصر الإنجليز على الأتراك بفضل القوات العربية وكان جزاء الشعب العربية [illegible] حيث خضعت بلادهم لاستعمار الدول المنتصرة ، وكانت مأساة فلسطين .

عن منح العرب (الاستقلال) إذا شاركتهم فى حرب [illegible] العثمانية

ونقف مشدوهين أمام الجيش العربى بقيادة فيصل بن حسين [illegible] حقق حلم الإنجليز – ومن ورائهم الغرب بأسره – عندما [illegible] مساهمة فعّالة فى دخول القوات البريطانية إلى أرض فلسطين [illegible] (اللنبى) الذى أعلن بسرور بالغ (الآن انتهت الحروب الصليبية ياصلاح الدين) !!!

ولا يعلم إلا الله تعالى ماذا كان سيحدث لو لم ينضم العرب بقواتهم العسكرية إلى الإنجليز عونا وتدعيما حتى تحقق نصر على الدولة العثمانية ، إلا أننا لا نستطيع تبرئة (الشريف) حسين من الطعنة التى طعن بها ظهره – وظهر العرب والخلافة الإسلامية معه – وسنجل له التاريخ هذا التصرف القاتل الذى لا يخرج عن كونه إما (غفلة) أو خطأ سياسى دفع العرب والمسلمون ثمنه غاليا وما زالوا !!!

وبعد ، فليعذرنا القارىء للإطالة فى تناول هذه الأحداث . لا لشىء إلا لكي نعيد للذاكرة الدور الذى أداه الأجداد ، ومن ثم فقد أصبحنا مسئولين عن استئنافه بعدهم ، مستفيدين من تجاربهم بدلا من رفع الرايات من الشرق والغرب أو استخدام الإيديولوجيات المستوردة ، وافتعال (الثورات) وغيرها من وسائل ثبت إخفاقها .

كما نتوجه بهذه النتائج أيضاً إلى بعض مثقفينا من ضحايا (التضليل) الثقافى الاستعمارى ، الذى تعمد تشويه تاريخنا وإخفاء معالمه البارزة ذات الفاعلية المؤثرة فى سير الأحداث التى انحدرت إلى ما نحن عليه فى العصر الحاضر .

ولا نريد تفريع المسائل أكثر من ذلك فإن مصادرها موجودة ، ولكن نريد الوقوف على **ملاحظتين** تشتركان فى تفسير ما صرنا إليه :

الأولى : نجح الاستعمار وأعوانه فى إحلال أفكار الوطنية والقومية محل العقيدة الدينية التى ظلت تحرك الأمة طيلة القرون الطويلة تحت راية الجهاد ، ومن ثم أخذت روح المقاومة فى الضعف التدريجى ، كما أفقد الأمة سلاحها فى مقاومة الغزو العسكرى الخارجى .

الثانية : استبدال القوانين الوضعية المستوردة بالشريعة الإسلامية ففقدت الأمة سلاحها الثانى فى المقاومة - أى الإبقاء على تماسكها الداخلى وأيديولوجيتها الموحدة .

وفى ضوء متابعة هذه الحقائق الثابتة فى تسلسلها إلى عصرنا الحاضر ، **يمكن بسهولة إقناع مثقفينا المتأثرين بالتوجيهات الثقافية الغربية ، بأن تطبيق الشريعة الإسلامية فى الداخل وإقامة العلاقة الخارجية مع شعوب الأمة الإسلامية وفق مبدأ الوحدة الإسلامية ، يمكن إقناعهم بأن تنفيذ هذين المطلبين يعد بمثابة (تصحيح) أوضاع أمتنا لاستئناف خط سيرها المرتبط بعقيدتها وحضارتها**

وتاريخها ، ذلك لأن القوانين الوضعية المطبقة حاليا فُرضت على شعوبنا بالقوة ، كذلك أكرهت الأمة على التجزؤ والتفتت عقب القضاء على الخلافة العثمانية فتحول الجسد الواحد إلى أوطان متفرّقة متناحرة أكثر منها متآلفة .

ونود استخلاص مغزى أخير بعد هذا العرض الموجز ، حيث تصبح حركة [اليقظة الإسلامية] معبرة عن روح الأمة الأصيلة وتشوقها إلى تراثها وقيمها ، ومستأنفة لجهود أجدادها .

لقد خاض الكثيرون فى تعليل حركة هذه اليقظة ، ولكن أغلبهم فاتهم متابعة حلقات المقاومة الإسلامية لكل ما هو أجنبى . ولكن ينبغى التعرف على الخيط الرابط بين حركات المقاومة الإسلامية التى بيناها آنفا على امتداد العالم الإسلامى بأسره :

فبإزاء المخططات العدائية للإسلام ، بقى الإسلام صامدا وتهافتت أمامه التحديات وبقيت الأمة - بالرغم من مظاهر الهزال والضعف البادية - قوية بعقيدتها .

وبعبارة أخرى ، على السطح تغيرت النظم وبعض العادات وحلت محلها ملامح (التفرنج) ولكنها تمثل قشرة سطحية لم تنفذ إلى الأعماق .

فقد بقى قلب الأمة حيا ينبض وستظل كذلك ما دام هناك أذان يرفع خمس مرات فى اليوم معلنا [الله أكبر] وصلوات

تقام ، وصيام يؤدى وحج تقام شعائره كل عام بانتظام (وها نحن أيضا أمام فهم من زاوية جديدة للحكمة من شعائر العبادات) .

ومع ازدياد حملات التغريب والتسميم الفكرى وفرض تجارب الأنظمة الشرقية والغربية ، ومظاهر الفشل الذريع أمام المآسى التى ظهرت للعيان فى الحروب العسكرية حيث الهزائم الساحقة ، والخراب الاقتصادى ، والانهيار الأخلاق ، أمام كل هذه النتائج نشأ الجيل الجديد وقد تلقى الدرس ووعى التجارب فاستند إلى جدار الإسلام ونبذ الأيدولوجيات والنظم المستوردة .

يقول الدكتور حامد ربيع : [إن اليقظة الإسلامية فى حقيقتها بالنسبة للأمة العربية هى حركة مقاومة ضد الاستبداد السياسى والغزو الحضارى الأجنبى ، وهى أيضا تطور يسعى إلى ربط الماضى بالحاضر][٢٤] .

---

(٢٤) د . حامد ربيع . الثقافة العربية بين الغزو الصهيونى وإرادة التكامل القومى ص ١٧٢ ، ط دار الموقف العربى بالقاهرة سنة ١٩٨٢ م .

الأدوار التاريخية التى مرت بها الأمة الإسلامية فى العصر الحديث :

قبل تشعب موضوعات البحث والاستغراق فى دراسة قضاياه المتنوعة ، سنعطى فكرة تمهيدية عن الأدوار التاريخية والتطورات المتلاحقة التى مرت بها الأمة فى العصر الحديث عند اصطدامها بالاستعمار الغربى :

١ – أحوال العالم الإسلامى قبل الغزو الاستعمارى إذ كانت الحملات الاستعماريه فى حقيقها تستهدف إجهاض الأمة لا الأخذ بيدها لمسايرة الحضارة . والنموذج المعبر ها هنا يتمثل فى حملة نابليون على مصر(٢٥) .

٢ – كانت الشريعة الإسلامية هى التى تسود تنظم المجتمعات فى نظم التعليم والاقتصاد والتجارة .

٣ – انطلقت حركات المقاومة من عقيدة الجهاد .

٤ – عندما أصبح العالم الإسلامى فى قبضة الدول الأوروبية أخذت تفرض عليه نظمها الثقافية والاجتماعية والسياسية

---

(٢٥) يقول رجاء جارودى : (... فلقد أعطى استيلاء نابليون على مصر سمة جديدة لعلاقة الغرب بالشرق .. إنها قبل كل شئ علاقة تقوم على **الخداع والسيطرة** .. كما أعلن بونابرت بيانه إلى سكان الإسكندرية الذى جاء فيه قوله : « .. نحن المسلمون حقا وصدقا » ، من كتابه (ما يعد به الإسلام) ص ٢٣٥ ترجمة قص أتاسى وميشيل واكيم دار الوثبة – دمشق ١٩٨٣ م .

والاقتصادية ، كذلك فرضت عليه آدابها وفنونها وقيمها وعاداتها وأنماط سلوكها فى الحياة بشتى شعبها ، وكلها كانت مخالفه لعقائد الأمة الإسلامية وشرائعها ، مشوهّة لذاتيتها ومعالم أصالتها وتفرّدها .

وشرح ذلك يقتضى بيان أساليب الغزو الثقافى :

(٥)

أساليب الغزو الثقافي والعقائدي

(أو الاستعمار المقنّع)

أساليب الغزو الثقافى والعقائدى
(أو الاستعمار المقنّع)

ظل الاستعمار العسكرى فى العالم الإسلامى تتفاوت مدة بقائه بين نحو قرن وقرنين وثلاثة قرون[1] ، ومنها ما ظل قائما للآن – وهو الاستعمار الروسى للبلاد التى كانت تابعة من قبل لدولة الإسلام (فى شكلها الأخير أى الخلافة العثمانية) ، ثم الاستعمار الاستيطانى بأرض فلسطين .

إن السنوات الطوال التى مكث فيها الاستعمار ببلاد المسلمين – وما زال بصورة أو بأخرى – يفيدنا فى الاستدلال على طول الزمن الذى استغرقه الاستعمار العسكرى قبل أن يضطر إلى سحب قواته النظامية تحت ضغط المقاومة الباسلة المستمرة للشعوب ، وفى الوقت نفسه يجعلنا ندرك أدواته وأساليبه التى أخذت تعمل – وباستمرار – فى الخفاء ، فهى لون من الاستعمار المقنع الذى يتستر وراء أتباعه وجنوده من عملاء الشرق والغرب .

وتتلخص هذه الأساليب ، إما فى محاولة سلخ البلاد المستعمَرة (بفتح الميم) من عقيدتها وهويتها وجعلها تابعة للدولة المستعمِرة

---

(١) بقى فى الهند نحو ١٨٧ عاما وفى الجزائر نحو ١٢٥ عاما وفى مصر نحو ٧٢ عاما وفى أندونيسيا نحو ثلاثة قرون ونصف .

(بكسر الميم) ، كما فعلت فرنسا في شمال أفريقيا بمراكش وتو
والمغرب والجزائر ، أو التدرج فى اتباع هذه الوسائل ، كفر
قوانين وضعية من فرنسا وبلجيكا وانجلترا وغيرها بدلا من الشر
الإسلامية ، ومحاربة اللغة العربية بوسائل شتى لكى تقطع الصلة
الأمة وبين مصادر عقيدتها بالكتاب والسنّة ، وإثارة أفكار ونظر
تدور حول إعلاء قيم الوطنية والقومية وإحياء النعرات الشع
لتجزئة العالم الإسلامى واستبدالها برابطة العقيدة الإسلامية
تؤاخي بين المسلمين في العالم كله مهما تباعدت أطرافه وناءت
وهى القيمة السياسية الكبرى التى تجعل المسلمين أمة واحدة لها
العالمية مهما اختلفت أوطانهم وأجناسهم وألوانهم ، قال تعالى
﴿ **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** ﴾
الأنبياء : ٩٢ .

وقال عز وجل : ﴿ **وإنَّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون** ﴾ المؤمنون : ٥٢ .

كذلك اتبع الاستعمار وسائل أخرى فى مناهج التعليم للفصل بين العلوم بفروعها المختلفة وبين الدين وكأنها تعارضه ولا تتفق معه ، والاعتداء على طريقة تدريس الدين نفسها لكى لا يصبح مادة دراسية مؤثرة فى تربية الأجيال الجديدة ولا تحتل من عقل النشء أو فهمه إلا جزءًا يسيرا مشوها لا صلة له بتنظيم الحياة وتوجيه السلوك .

إلى جانب طرق أخرى أشد ضراوة ، مثل محاولات تنصير (أو بمعنى أدق : تضليل) المسلمين أو انتزاعهم من إسلامهم

أو تحويلهم إلى (لا دينيين) ، وإنشاء مدارس تعليم على النمط الغربي كالفرير والفرنسسكان والميردى ديو وسان مرك والليسيه وكلية فكتوريا والجامعة الأمريكية ، وهى كلها تقتطع من المجتمعات الإسلامية شرائح تربيها وفق مناهج تربية غربية خالصة فتنشأ أجيال منقطعة الصلة بأمتها وتراثها ، وربما تحول البعض إلى العداء لأمته والتحيز لأساتذته ومعلميه .

كذلك تدخل الاستعمار الإنجليزى فى مصر مثلا لفصل التعليم الدينى التابع للأزهر ومعاهده عن التعليم المدنى التابع لوزارة المعارف ، وسيطر (دنلوب) على هذه الوزارة ومناهجها لكى تخرج موظفين للعمل فى الحكومة وتتدرج فى الوظائف الرسمية إلى أعلى الدرجات ، بينما يلقى خريجى الأزهر الإهمال ويحصلون على الرواتب الأقل .

وامتدت أذرع الغزو أيضا إلى الصحافة لاستخدامها للدفاع عن الاستعمار وأعوانه وتبرير تصرفاته ومهاجمة المقاومين له تحت ستار نقد العنف والتطرف والدعوة إلى اتباع الحكمة واستخدام العقل . فضلا عن استخدام الآداب والفنون لإثارة الغرائز والشهوات ، وتحبيذ الانحلال ، والعمل على تفكيك الأسر المسلمة بإثارة قضايا مفتعلة كقضية عمل المرأة والزواج بأكثر من أربع والطلاق ومشروعيته وحدوده .. الخ .

وقد تفاوتت طرق التغريب بين الأساليب الهادئة الهادفة للتغيير على المدى البعيد ، وبين الطرق التى تتخذ من العنف وسيلة للتغيير السريع . ومن أقسى صورها ما قام به (بطرس الأكبر) فى روسيا حيث أكره الرعايا المسلمين **على حلق اللحى وحرم عليهم ارتداء القفاطين** !! ويذكر توينبى استطرادا للحديث عن عملية التغريب بالإكراه (وأبرزت ظروف مماثلة – منذ الحرب الأولى ١٩١٤ –١٩١٨م – أفعالا تعسفية مشابهة فى عدد من الأقطار الغير أوروبية ، فثمة مثلا قانون سنة ١٩٢٥ م التركى الذى فرض على جميع المواطنين الأتراك إرتداء القبعة ذات الحافة)[٢] .

وقد تطورت هذه الأساليب – وما زالت – حيث أخذت طرقا أخرى متشعبة بما لا يخفى على كل مراقب لحركات التسميم الفكرى والغزو الثقافى والتحطيم الأخلاقى ، وساعد على ذلك الأجهزة الحديثة كالتلفاز والفيديو .

كما ابتدعت الصهيونية أساليب إضافية فى الفتك المعنوى بالشعوب أيضا – فضلا عن الفتك الاقتصادى والسياسى – وهذه الأساليب تتغلغل فى النفوس عن طريق الصور والأفلام الفاضحة والموسيقى الصاخبة وغيرها :

---

(٢) توينبى : موجز تاريخ العالم جـ٢ ص ٤٠٣ ، فإذا عاد بعض الشباب المسلم إلى إطلاق اللحى ولبس القفاطين أثارت أجهزة الإعلام ضجة كبرى بلا مبرر ، إذ يعبر هذا التصرف التلقائى ببساطة عن الحنين إلى العودة إلى الذات والتحرر من التقليد ، فضلا عن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تنهى عن متابعة وتقليد غيرنا من الأمم .

فمن وسائل الصهيونية لإهلاك الشعوب والسيطرة عليها ما يمتد لكل الجوانب فى حياة الشعوب منها :

١ - ابتداع بعض الموسيقات الصاخبة وتصديرها للدول والشعوب لتسمعها مع العلم بأن بعض علماء الطب أثبتوا [أنها تؤثر على أنسجة وخلايا معينة بالمخ فتحدث بها اضطرابات نفسية أو عصبية قد يمتد أثرها على الفرد إلى ستة شهور] .

كذلك فإن بعض أساتذة الطب العالميين اكتشفوا أن **الرقصة المسماه** (بالديسكو) تسبب **نزيفا فى المخ قد يؤدى إلى الموت أو على الأقل لها أخطار أخرى**[٣] .

٢ - تستخدم (موضات) الثياب وفق أدق أساليب علم النفس لكى تتسلل أهدافهم دون شعور ، حيث يبدأون بأشياء بسيطة غير ملفتة حتى يتعود الناس على قبول المبدأ أولا : تقول الباحثة سعاد منسى فى كتابها عن (أخطر مؤامرة على العالم كله) (فيرسم لك مثلا خطاً غريبا لا معنى له ولا فكرة أو رسما سيرياليا لا يعنى ولا يعبر عن أى شئ فوق قميصك أو على ذراعك ، أو على مؤخرة بنطلونك .. ثم يضع اسم المصنع ويجعل منك مندوب إعلانات مجانى) .

---

(٣) سعاد منسى (انتبهوا .. البشرية فى خطر) ص ٧٦ مطابع دار الشعب بالقاهرة - بدون تاريخ .

ولا يتوقف الأمر عند ذلك حيث يقوم فى مرحلة تالية بالعمل على (قتل نفسك وعقلك ومحو شخصيتك ، فيكتب لك ويرسم أشياء فاضحة قذره المضمون ..) .

ومثال ذلك عثور الكاتبة على شعار مكتوب على فخذ بنطلون نصه (أنا متعفن أو أنا مهترىء حتى الأعماق)[٤]

(I am rotten until the bottom)

هذا ، ومازالت أجهزة الإعلام فى الشرق والغرب ، والتى تصل أصداؤها إلى العالم كله ، توجه حربها النفسية إلى المسلمين ، لكى تحطم معنوياتهم بالأخبار الكاذبة أو تفسيراتها المصطنعة أو تعليقاتها المسمومة ، كلها بغرض زلزلة نفسية المسلمين وتحطيم روحهم المعنوية وافقادهم روح المقاومة بعد تغذية إحساسهم باليأس ، هذا فضلا عما هو ملاحظ من تشويه التاريخ والطعن فى الشريعة وتوجيه المغامز إلى الرسول ﷺ وتعمد التجهيل بفضل الإسلام على حضارة أوروبا[٥] .

يقول جارودى : (فقد كان الشاغل الأساسى للمستعمر هو أن يقوض ثقة الشعوب المستعمرة فى نفسها ، لقد سعى جاهدا ليدمر اعتزاز الشعوب بماضيها)[٦] .

---

(٤) نفس المصدر ص ٧٧ .

(٥) وإن خفت حدة هذا الأسلوب عند بعض المشتشرقين ، ونذكر منهم مونتجومرى وات بكتابه (فضل الإسلام على الحضارة الغربية) ترجمة حسين أحمد أمين ط دار الشروق ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

(٦) محاضرات جارودى - مجلة الطليعة ، بمصر سنة ١٩٧٠ م.

لذلك فقد أصبح لزاما علينا لمواجهة آثار الاستعمار ، أن نضع الخطط المضادة بحيث نبرز الجوانب المضيئة فى حضارتنا وتاريخنا بحيث تعزز ثقتنا بأنفسنا وتثبت أقدامنا فى وجه هذه الحضارة بجناحيها الشرقى والغربى التى لا تسمح لغيرها بالحياة إلا وفق فلسفاتها ونظمها ، بحيث يصير تابعاً لها . **والمسئولية فى هذا الصدد تقع فى المقام الأول على رجال التعليم فى وزارات التربية والتعليم والجامعات** والإعلام ، وينبغى أن تصب جهودهم كلها فى خدمة هذا الهدف الجليل وهو نوع من الجهاد فى سبيل الله تعالى .

* * *

هذه هى الملامح العامة للنتائج التى حققتها القوى الاستعمارية ليتضح لنا ..

أولا : الجرائم التى ارتكبت فى حق الأمة الإسلامية ومازالت تُرتكب على أرض فلسطين وفى الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى الواقعة تحت سيطرة الروس وظهرت بصورة أقسى فى أفغانستان ، وحملات التنصير المنظمة المدعومة بواسطة الغرب فى أندونيسيا وجنوب شرق آسيا وأفريقيا واضطهاد الأقليات الإسلامية فى شتى البلدان .

ثانيا : بيان الواجبات والمسئوليات الجسام على عاتق فصائل حركة اليقظة الإسلامية بضرورة وضع خطة استراتيجية لمقابلة ذلك كله ، وإزالة آثاره لكى تعود الأمة إلى ذاتها الأصيلة بعقيدتها .

الصحيحة ونظمها الشرعيه وأخلاقياتها الرفيعة وتعرف رسالتها المنوطة بها .

إلى جانب تصحيح العقيدة وصياغة المفاهيم الإسلامية وتوضيح لأهميتها ، بالإضافة إلى ذلك وضع الخطط البديلة لإزالة آثار التغريب والتبعية .

* * *

وبعد ، فقد ظن الاستعمار أنه أفلح فى سلخ الأمة عن دينها ، ولم يتنبه إلى أن ما حققه من نجاح ، كان لم يلق بالاً إلى حركات المقاومة وآثارها على الأجيال الجديدة ، وبما تختزنه الأمة فى أعماقها من تراثها الخالد – ممثلا فى الكتاب والسنّة – وهو الذى أبقى على حياتها وحيويتها !

ومثالنا على ذلك ما قاله المستشرق جب بعد ملاحظته للعالم الإسلامى (الواقع أن الإسلام بوصفه عقيدة لم يفقد إلا قليلا من قوته وسلطانه . ولكن الإسلام بوصفه قوة مسيطرة على الحياة الاجتماعية قد فقد مكانته . فهناك مؤثرات أخرى تعمل إلى جانبه ، وهى – فى كثير من الأحيان – تتعارض مع تقاليده وتعاليمه تعارضا صحيحا . ولكنها تشق طريقها بالرغم من ذلك ، إلى المجتمع الإسلامى فى قوة وعزم . فإلى عهد قريب لم يكن للمسلم من عامة الناس ، وللفلاح اتجاه سياسى . ولم يكن له أدب إلا الأدب الدينى ؛ ولم تكن له أعياد إلا ما جاء به الدين ، ولم يكن ينظر إلى العالم الخارجى إلا بمنظار الدين) .

ثم يعلن عن فرحه وسروره بما لاحظه آنذاك من نتائج بقوله : (كان الدين هو كل شئ بالقياس إليه ، أما الآن فقد أخذ يمد بصره إلى ما وراء عالمه المحدود ، وتعددت ألوان نشاطه الذى لم يعد مرتبطا بالدين)(٧) .

ونحن نرى – بعد ظهور الصحوة الإسلامية التى فرضت نفسها – أنها حركات المقاومة للاستعمار الغربى وآثاره :

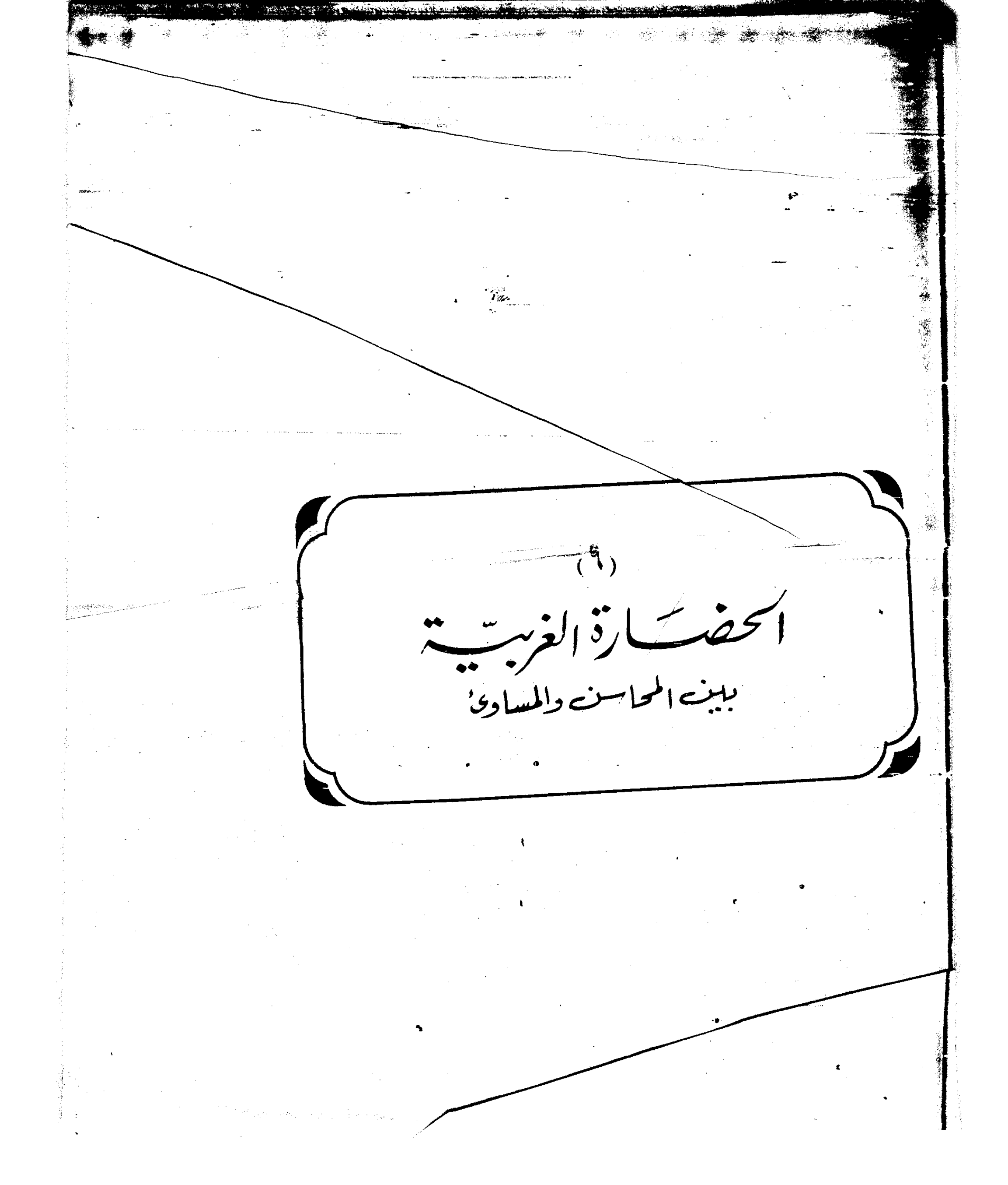
فقد ظلت الأمة الإسلامية صامدة – بل متحدية – ومازالت ببعض فصائلها تعبر عن امتداد حركة المقاوم الإسلامية الصلبة منذ الحروب الصليبية وحرب التتار ، ونعنى بصفة خاصة الجهاد الأفغانى وحركة التحرير الجزائرية بقيادة الإمام عبد الحميد بن باديس فى العصر الحديث(٨) .

ومازالت مبادؤنا هى التى تير [illegible] بحمد الله تعالى يكفل تحقيق ذلك كله ، إذ تكفل بذلك الاتجاه

(٧) نقلا عن كتاب الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ج٢ ص ٢٠٩ للدكتور محمد حسين (رحمه الله تعالى) .

(٨) وتعبر الكلمة التى ألقاها الرئيسى الشاذلى بن جديد عن التصور الدقيق لحركة اليقظة الإسلامية الحريصة على تأكيد ذاتها والعودة إلى أصالتها بعد أن تشعبت بها المسالك ، قال : (.. لابدّ إذا كان الشعب الجزائرى ينتمى للحضارة العربية الإسلامية والانتماء الروحى للإسلام ، فلم يعد هناك اختيار آخر أو تردد من طرف أى مسؤول جزائرى ، فلابد أن نعطى هذا المحتوى محتواه الحقيقى ، ونرجع للأصل ونحن نفخر بانتمائنا الحضارى العربى الإسلامى ، والانتماء الروحى لهذه الأمة الإسلامية) من خطابه أمام اللجنة المركزية يوم ٢٧/١٢/١٩٨٨ م .

الإسلامى منذ القضاء على الخلافة التى جعل هدفه الرئيسى المحافظة على أصالة الأمة لتنهض مرة أخرى ، وبدأ فى دخول سباق التحدى ثقافيا وسياسيا مع أتباع الغرب والشرق الأوروبى ، وتمثله الجماعات الإسلامية كالإخوان المسلمين فى مصر وسوريا وجمعية علماء الجزائر وندوة العلماء فى الهند والجماعة الإسلامية فى باكستان وأندونيسيا ، وحزب السلامة فى تركيا .



(٦)

الحضارة الغربية

بين المحاسن والمساوئ

الحضارة الغربية
بين المحاسن والمساوىء

إن مواجهة التيار التغريبي فيما بيننا يتطلب رؤية أزماتها من وجهة نظر فلاسفة الحضارة الغربية أنفسهم ، إذ يجمعون على أن أزماتها مستحكمة فكيف يرى البعض استيراد أفكارها وثقافتها ؟

ولا تتحقق الذاتية إلا برفض التبعية لهذه الحضارة . ولكي يكون حكمنا عادلا سنتتبع هذه الأزمات مع معرفة محاسنها أيضا :

ولكي لا نتهم بالانحياز لوجهة النظر الإسلامية وحدها والصد عن سبيل الحضارة الغربية في مثلها وقيمها وطريقة حياتها سنجتزىء بعض آراء فلاسفة أوروبا أنفسهم ولا نظن أن هذه الآراء صادرة إلا عن معرفة عميقة بنفسية الشعوب هناك وأمراضها وعللها :

إليك برتراند رسل مثلا يعلل إقدام عدد كبير من السويديين على الانتحار بأنه نتيجة لفقدان العقيدة الدينية ، فهم ليسوا شعبا متدينا(١) .

---

(١) محاورات برتراند رسل ص ٣٥ ترجمة وتقديم جلال العشرى ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٩ م .

ويقول في مسألة أخرى (ففى اعتقادى أن كل متاعب العالم الحديث ... قوة التكنولوجية الحديثة ... تكمن فى علم النفس ... والأخرى فى آلام ... فردى ، فيالها من آلام ... .

ثم يمضى فيقترح العلاج المناسب لهذه ... : (فلو قدر للإنسان ... بصورة أقوى أن يكون سعيدا فى عالم متماسك ومتكامل ... عليه أن يعمل على إسعاد ... من البشر . مهما كان ... من شعور بالكراهية ..)[2]

... الأخلاقية ... إحلال العلاقات الإنسانية الأخوية ... من علاقات العداء المستحكمة التى ستؤدى إلى انفجار ... على أثر الاصطدام فى حرب هيدروجينية التى – لو قامت – فإنه يتوقع أن كل فرد على ظهر نصف الكرة الشمالى سيفنى عمليا ، كما أن عددا كبيرا جدا من البشر ، ممن هم على ظهر نصف الكرة الجنوبى ، سيلقى حتفه بفعل الغبار الذرى ؟!)[3] .

وهناك عالم آخر – هو جوزيف وودكرتش – أخذ يشرح لنا التغييرات العنيفة التى حدثت فى مجال البحث العلمى فى الطبيعة والإنسان ، لأن زحف سيطرة علماء الطبيعة على ميادين البحث

---

(٢) المرجع السابق ص ١٩٩ ، ٢٠٠ .
(٣) المرجع السابق ص ١٧٥ ، ١٧٦ .

فى الغرب **بمناهجهم التجريبية** ظل يسير قدما ليضم إلى حوزته علوما تلو أخرى ، ولكن رايات النصر التى كان العلماء يرفعونها فى كل خطوة يخطونها إلى الإمام – سرعان ما نكست عند معرفة الحقيقة الفاجعة **وهى أن الإنسان لا يخضع للتجربة المعملية كغيره من الكائنات .**

يقول الدكتور **جوزيف :**

[وفى الحقيقة فإن العملية التى ردتها الإنسان إلى تفاهته الحالية إنما أنجزت بسرور بالغ . وكان الناس يهللون لكل بارقة تشير إلى أن « الروح » فانية ، كما يهللون لاختراع آلة جديدة . لقد أعلن هكسلى – وكأنه يلقى بالبشرى – أنه سيكون فى وسعنا فى المستقبل أن نحصل على أفضل المعلومات عن طبيعة تكويننا بالدراسة فى حديقة الحيوان](٤) .

ويشرح بعد ذلك كيف كان هناك شعورٌ **بالراحة من تزايد** الاكتشافات فى الطبيعة التى تؤدى لتزايد السيطرة عليها ، وأخذ الناس يستقبلون كل دليل على عدم خلودهم **كأنه نصر جديد !!**

ويأخذنا العجب من هذه الفورة الحماسية التى تهبط بالإنسان إلى درك الحيوان .

---

(٤) ج . وودكرتش : الإنسان الحديث – دراسة فى مزاجه وقضاياه ص ٢١٩ ترجمة بكر عباس ط دار الكاتب العربى ١٩٦٥ م .

ولكن مع الأسف هذا ما حدث كما يسجله الباحث الذى بين يدينا كتابه ، حيث يوضح بعد ذلك حركة رد الفعل النفسى إذ تحول الإحساس بالنصر والراحة إلى إحساس باليأس ، ثم يسجل هذه الحقيقة المثيرة للدهشة حقا ، وخلاصتها أن (**أسس اليأس** أرسيت فى العصر الحديث على أيدى أناس كانوا موقنين بأنهم يخدمون الإنسانية **ووسط هتافات النصر صبت سلاسل القيود التى تشدنا إلى الأرض بأوثق مما نريد**)[٥] .

إذن فإن الاتجاه المادى فقد نغمة النصر التى امتاز بها فى مراحله الأولى ، وتوقف عن التغلغل فى اجتياح مناطق كان يدعى من قبل أنه فى إمكانه السيطرة عليها (حتى إن دعاة مذهب فرويد – وهو أقوى المحاولات التى أجريت فى الآونة الأخيرة لتجريد الإنسان مما بقى له من مزق الكرامة وأبعدها أثرا – أخذوا ينادون بنظرياتهم مع شىء من الاعتذار) .

ويميل بهذا الرأى إلى تصوير الحالة المتردية التى وصل إليها الإنسان بسبب تصوير فرويد للإنسان وكأن لا هم له إلا إشباع غرائزه الجنسية وإرجاع كل ألوان سلوكه إلى هذه الغريزة فأصبح الإنسان فى تفسير الفرويديين أحط شأنا من الحيوان لأنه أنكر القيم ثم يجمل تاريخ محاولة العودة بالإنسان إلى طبيعته ، وإعادة (روحه) إليه فى مراحله التاريخية التى شهدت مفترق الطرق ، فإذا كان القرن التاسع

---

(٥) المرجع السابق ص ٢١٩ .

عشر قد شهد في نهاية مفكرين يبذلون قصارى جهدهم لحصر الإنسان ضمن طبيعة تسيرها الآلة ، فإن الربع الأول من القرن العشرين شهد مفكرين آخرين يسعون جاهدين للعثور على طريقة علمية أو ميتافيزيقية يستطيعون بواسطتها الخروج من تلك الطبيعة ، ويقصد بذلك اثنين من فلاسفة الغرب هما وليم جيمس وبرجسون إذ يقول : (ولعل وليم جيمس و « إرادة الإيمان » وهنرى برجسون و « حدسه » كانا البادئين بالتطورات التالية لأن كليهما جعل همه أن يثبت على الأقل احتمال وجود منفذ تستطيع الروح أن تفر منه)[٦] .

ولكن الشكوى المستمرة من الفلاسفة والمفكرين تجعلنا نشك في نجاح هذين الفيلسوفين .

ألا يصح بعد ذلك أن تضيق نطاق العلم فيصبح كما يطلق عليه جارودى (علماً غربياً) لأنه قد فارق (المغزى) وافترق عن الحكمة ، بينما كان العلم بهذا المدلول الجامع متحققاً في ظل الحضارة الإسلامية !!

أما عن النظام الاقتصادى الذى يقبع على قمته شعار (التقدم) ، فإنه أيضاً لا يخلو من نقد مرير من واقع النظرة الإنسانية التى ترتفع بالإنسان من مجرد مستهلك يسعى بطريقة محمومة نحو

---

(٦) مرجع سـ[illegible]

الاستزادة من السلع ، إلى الإنسان الذى يرتفع بالقيم إلى المستوى اللائق به .

يصف جارودى هذا التنافس المحموم بقوله :

(لكن المعركة الأساسية الحيوية فى عصرنا يجب أن توجه إلى أسطورة (التقدم) الانتحارية وإلى الطريقة الغربية فى التنمية ، إنها الأيديولوجية التى تميزها تلك القطيعة بين العلوم والتقنيات من طرف ، وبين تحكيم العقل من طرف آخر ، وعلاج ذلك بتنظيم العلاقة بين الوسائل والقدرات وبالتفكير فى أهداف حياتنا ومعناها)[7] .

ويضيف توينبى إلى ذلك كله :

إن صفة التعصب الذى بدأ مقترنا بالمسيحية الغربية وكان سبب الحروب الدينية بين الكاثوليكيين والبروتستانتيين ، ثم انتقل إلى مجال الأيديولوجيات الغربية اللاحقة للمسيحية وهى القومية أولا ثم الشيوعية ، قد أصبحت الآن أكبر خطر يهدد بناء الجنس البشرى . وينتهى إلى القول بأنها ستصبح كارثة على البشرية جمعاء أن تقتبس البلاد غير الغربية هذه الأيديولوجيات الغربية بحذافيرها[8] .

---

(٧) ما يعد به الإسلام ص ٤٠ .

(٨) محاضرات توينبى ص ٤٤ ، ٤٦ باختصار .

ونحن الآن نلاحظ التقارب بين الدولتين المتعاليتين على حساب شعوبنا وأمتنا ، كما لا يخفى علينا أن التعصب الدينى أصبح يحرك ساستهم نحونا .

فهل يعاب على حركة اليقظة الإسلامية أنها تختط لنفسها طريقها المستقل المتصل بثقافتها وتراثها وكفى ما أصاب الأمة من كوارث تبعية الغرب أو الشرق ؟!

ويقرر أرنولدتوينبى أنه من سوء حظ الجنس البشرى كله، وضمنه الغرب ذاته، **أن يتجه الجزء غير الغربى من العالم إلى قبول المدنية الغربية بكل عناصرها دون تمييز**، ودون تفرقة بين ما هو نافع وما هو ضار منها لأن هذه المدنية شأنها شأن أية مدنية أخرى، فيها أوجه نافعة وأوجه ضارة[9].

ولهذا فإنه يبدى دهشته لأن البلاد التى نجحت فى تحرير نفسها من سيطرة الغرب السياسية، لم تستخدم هذه الحرية الجديدة التى اكتسبتها فى النضال ضد المدنية بوجه عام وفى الرجوع إلى أسلوبها التقليدى فى الحياة – وهو الأسلوب الذى كان سائدا فى حياتها قبل أن يسيطر عليها الغرب – بل أخذت تقتبس عناصر من المدنية الغربية وأسلوب حياتها[10].

فهل نتأمل هذا التعليل الصحيح ونفسر على ضوئه الرغبة العارمة فى استرداد شخصيتنا الإسلامية الأصيلة بعد محاولة الغرب سلخنا منها وإلباسنا ثوبها فى العقائد والقيم والسلوك والنظم ؟

---

(٩) محاضرات توينبى ص ٣٧.

(١٠) محاضرات أرنولدتوينبى ص ٣٦ (ألقاها أثناء زيارته لمصر فى أبريل سنة ١٩٦٤ م) ترجمة د. فؤاد زكريا الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٦/١/١٥ م.

أسلوب الحياة الغربية ومزاياه :

أولا : حب الاستطلاع لاسيما فى مجال موضوعى محدد هو مجال البحث العلمى الذى هو أصل التكنولوجيا .

لذلك فإن البلاد العربية ينبغى ألا تتردد فى اقتباس التكنولوجيا الغربية اقتباسا كاملا طالما أنها ستستخدمها استخداما مفيدا لأنها فى ذاتها قوة محايدة من وجهة النظر الأخلاقية .

ولكنه يأسف لأن هذه التكنولوجيا تحولت إلى وسيلة للتدمير حيث نجحت فى إنتاج القنبلة الذرية واستخدامها مما يدل على فقد الشعور بالمسئولية من وجهة النظر الاجتماعية والأخلاقية حيث ارتكب الغرب خطأ شديد الخطورة أدى إلى تهديد مستقبل الجنس البشرى كله بالخطر(١١) .

ومات الرجل قبل أن تستفحل خطورة الأسلحة الفتاكة المعاصرة كالقنبلة الهيدروجينية وحرب الكواكب وحرب الميكروبات والصواريخ العابرة القارات - وغيرها وغيرها مما نسمع به ونقرأ عنه كل يوم .

---

(١١) محاضرات توينبى ٣٩/٤٠ .

ولهذا فإن توينبى يشترط على الدول غير الغربية أن تخضع الطريقة التى تستخدم بها الكشوف العلمية والتكنولوجيا للسيطرة الاجتماعية والأخلاقية(١٢).

وما أحوجنا إلى تنفيذ هذا الشرط.

ثانيا : النزعة الفردية الغربية (أو المنافسة) :

ويلحق هذه الميزة بقوة العلم والتكنولوجيا من حيث أنها قوة حايدة من الوجهه الأخلاقية ، فمن الممكن استخدام قدرات الفرد لخدمة المجتمع أو للإضرار بالأفراد الآخرين ، وإن كان يرى أن النزعة الفردية قد ذهبت فى الغرب إلى أبعد مما ينبغى وزعزعت فكرة الالتزام برعاية المسنين ووصلت إلى حد عدم الاكتراث بهم – أى الحد اللا أخلاقى المتطرف –(١٣).

ولذلك ظهرت الفجوات بين الأجيال بافتقاد الرباط الأسرى واستفحال ظاهرة عقوق الوالدين والمسنين بوجه عام.

ثالثا : النزعة العملية التى تتضح فى النشاط والعمل وإنجاز الأمور بسرعة وكفاءة بدلا من الجمود والتلكؤ والتسويف.

---

(١٢) محاضرات توينبى ص ٣٩ / ٤١ باختصار.

(١٣) محاضرات توينبى ص ٤٣ ، وربما يقصد أيضا بالنزعة الفردية إطلاق حرية الأفراد فى التملك والعمل ، بدلا من اعتبارهم آلات مسخرة للدولة فى النظم الاشتراكية حيث أدى إلى ضعف الإنتاج كما هو مجرب.

ويلحق هذه النزعة بسابقيتها من حيث حيادها و...
ومرغوب فيها أخلاقيا ، ولكنها تتحول إلى نشاط ضار ...
يصرف الناس في الغرب أوقاتهم في أمور عملية تافهة لا ...
على حساب ممارسة أوجه النشاط الروحي كالصلاة والتأمل ...
ليسا بأقل أهمية من النشاط العملي من حيث هما عنصر ...
لا غناء عنه في حياة الإنسان ، إذ أن أي شخص ، لكي ...
بالمعنى الكامل ينبغي أن يكون تأمليا وعمليا في آن واحد ...
مكونات الشخصية الإنسانية(١٤) .

وهل أتى الإسلام بغير هذا ؟

واقرؤا ما شئتم الآيات القرآنية – وما أكثرها – التي ...
﴿ **الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ .

وكانت الحضارة الإسلامية في أوج مراحل ازدهارها ...
عن هذا الالتحام ، وما ضعفت وتحللت إلا بالانحراف عن هـ...
والتنفيذ الصحيحين الذي التزم به أهل القرون الأولى المفضلة ...

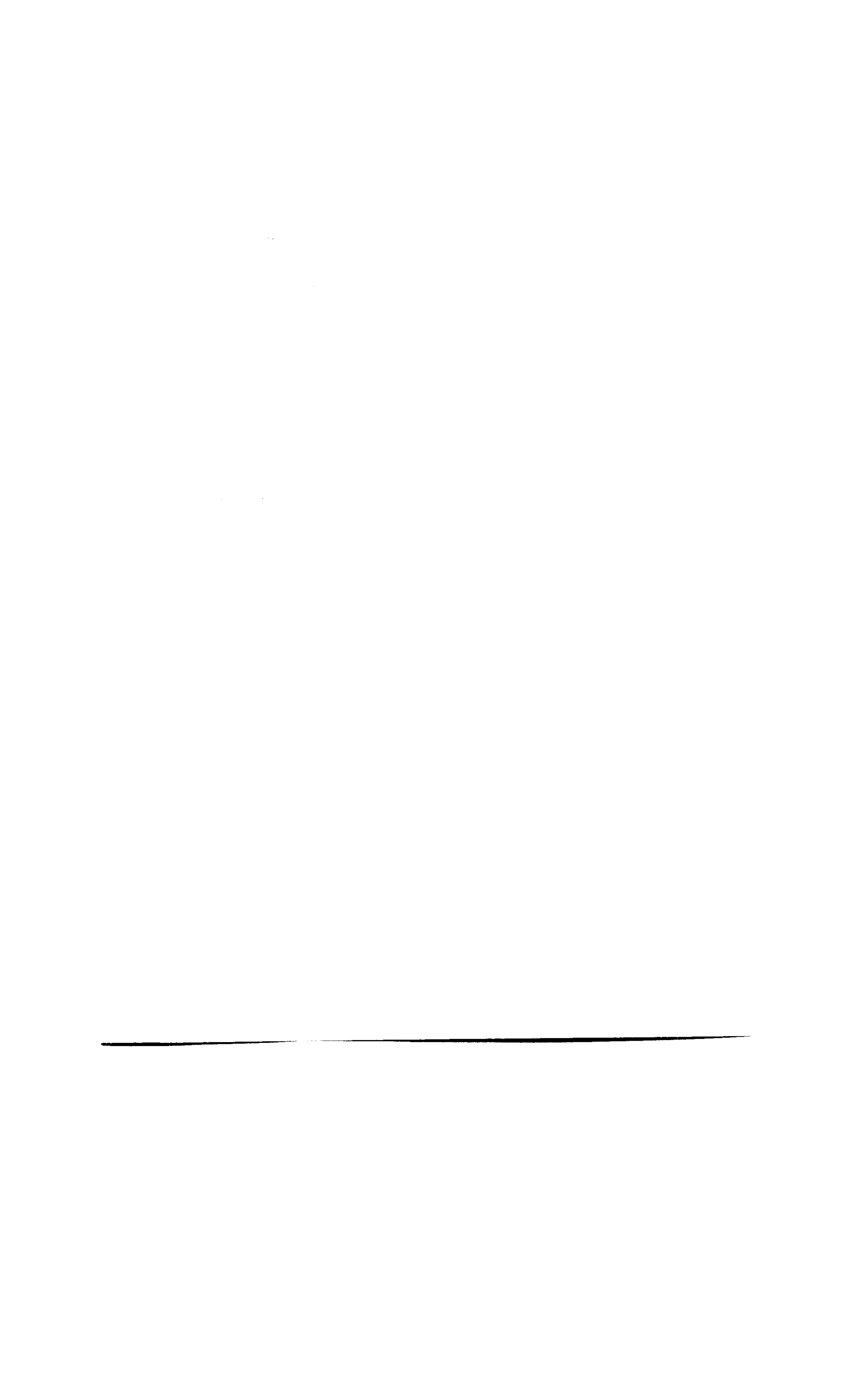
(١٤) محاضرات توينبي ص ٤٣ / ٤٤ باختصار .
(١٥) يُنظر كتابنا (مع المسلمين الأوائل في نظرتهم للحياة والقيم) ط د...
بالاسكندرية ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م .

(٧)

من مقومات المحافظة

على ذاتية الأمة

(أ) الشريعة للمحافظة على ذاتية الأمة .
(ب) العقيدة والنظم .
(ج) الإسلام دين (علمي موثَّق)
(د) استمرارية الأمـــة .



(أ) الشريعة للمحافظة على ذاتية الأمة :

لم يبق من الأجيال التي عاصرت الخلافة العثمانية إلا القليل النادر ، وفيما عداها تحتاج إلى قراءة ودراسة واعية لكى تعرف أن جماعاتها كانت محكومة بالشريعة الإسلامية بواسطة المحاكم الشرعية ، وأن التحول من حكم الشريعة إلى القوانين الوضعية قد فرض عليها قسراً بواسطة قوى الاستعمار وأذنابه عندما كانت مقاليد الأمور بأيديهم . فكانت كالطارىء والغريب الوافد مع جيش الغرب العسكرى حيث كسرت شوكة الجيش الوطنى ، ثم تحولت إلى تراث الأمة التشريعى لتزيحه من طريقها وتنشىء أجيالا أخرى على تراث الغرب وقوانينه ، وسلكت فى ذلك عدة مسالك ضمن خطط متكاملة لتغريب الأمة أهمها :

١ - فرض الوطنية وتجزئة أراضى المسلمين على حساب وحدة الأمة الإسلامية .

٢ - القوانين الوضعية بدلا من الشريعة الإسلامية .

٣ - نظام التعليم وفق المناهج والأساليب الغربية ودست فيه فلسفة اليونان والفلسفة الحديثة بكليات الآداب والمعاهد المشابهة كما قررت فى كليات الحقوق دراسة القوانين الوضعية .

وقد تصدى علماء المسلمين من شيوخ الأزهر للوقوف فى وجه المستعمرين وأتباعهم .

وأثيرت معركة دار فيها النقاش حول علماء الإسلام فى دفاعهم عن الشريعة والسائرين فى ركاب الغرب الثقافى .

وبعد انحسار موجة الاستعمار العسكرى فإن التصرف المنطقى المعقول أن نوصل ما انقطع ونسترجع نظامنا التشريعى الذى حكمنا طوال تاريخنا عندما كنا أحرار الإرادة ، وما أصدق الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله فى قوله بإحدى محاضراته : (وكما عرفنا بعد الحرب الماضية كيف نسترد استقلالنا السياسى أو أكثره ، فسنعرف الآن كيف نسترد استقلالنا التشريعى ، والعقلى كله ، وسنعيد للإسلام مجده ، إن شاء الله)[1] .

وذكّر الحاضرين فى كلمته أن مصر كلها فرحت حين تمكن مندوبوها فى مؤتمرات أوربا منذ بضع سنين أن يقنعوا المؤتمرين ليصدروا قرارا بأن (الشريعة الإسلامية تصلح أن تكون مصدرا من مصادر القوانين)[2] .

وربما تصلح تصرفات الإنجليز بمصر كنموذج طبقته الدول الاستعمارية الأخرى كفرنسا وايطاليا وغيرهما فى باقى بلاد المسلمين .

---

(١) الكتاب والسنّة يجب أن يكونا مصدر القوانين فى مصر ص ٢٨ ، ط دار الكتب السلفية بالقاهرة سنة ١٩٨٦ م .

(٢) المرجع السابق ص ١٢ واستطرد قائلا (وظننت أنها أوتيت فتحا مبينا !) نعم هو فتح مبين هناك ، ولكنه فى بلادنا ضعف وهوان ، لأن شريعتنا يجب أن تكون وحدها هى مصدر القوانين فى البلاد الإسلامية .

إن ما حدث فى مصر يعد نموذجا عظيم الدلالة على ما فعله الاستعماريون لتخريب الشخصية المسلمة من الداخل وتفكيك الأمة الإسلامية وتفتيت وحدتها ، ثم توجيه الطعنة القاتلة إليها بإبعادها قسرا عن شرع الله تعالى وإخضاعها لقوانينهم .

ويذكر الأستاذ طارق البشرى أن الإنجليز شرعوا منذ سنة ١٨٩٩ م فى النفاذ إلى المحاكم الشرعية بما صاغوه من مشروعات يرمون بها إلى إلغاء هذه المحاكم **بزعم الإصلاح !**

وقد قوبلوا بمعارضة شديدة من علماء الأزهر وقاضى القضاة وشيخ الجامع الأزهر حينذاك ، وكان أعوان الاستعمار يصفونهم **بالجمود** .

وإذا تجاوزنا تفاصيل المراحل التى اجتازتها المعارك بين هذا الجانب وذاك ، فإن ما يهم هو الدلالة حيث يقول الأستاذ طارق البشرى (والدلالة التى تهم من هذه الواقعة فى الموضوع المعروض ، أن دعوة الإصلاح هنا التبست ببسط النفوذ الإنجليزى ، وأن حركة مقاومة هذا النفوذ اتصلت بنزعة الحفاظ على المؤسسات التقليدية . وكان غالب الرأى العام المصرى – فيما يبدو مؤيدا هذا الموقف الثانى والدلالة أيضا أن هذا الموقف « الشرعى » كان يحمل موقفا سياسيا فى طياته . وأن تقويم المواقف لا يجوز أن يقتصر على القول بأن فكرا جامدا حال دون إصلاح ما ، إنما كان الأمر مرجعه إلى موقف

سياسى ظاهر الدلالة بين التصور سواء المشروع الإنجليزى أو ... الوطنية له)[3] .

وكذلك إذا صوّرت القضية بأنها نزاع بين طرفين : علماء الشريعة ورجال القانون ، فهى تجانب الحقيقية لاسيما إذا ... البعض بالباطل وحاول إيهام الناس بأن علماء الشريعة أو ... يسعون لتولى مقاليد الحكم والتفرد بالسلطة ، ويخلطون بين ... فقهاء الإسلام وبين (علماء الدين) حسب النظام ... فى الغرب ، وشتان ما بينهما كما هو معلوم .

وهذه القضية المثارة الآن كإحدى قضايا الساعة قد أثيرت من قبل عقب انقضاء الحرب العالمية الثانية ، ربما بنفس الشكل بين الغالبية الساحقة التى تطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية . وبين القلة المتغربة التى تلقى بسهامها الطائشة وتتذرع بنفس الحجج الواهية التى قتلها علماء الشريعة بحثا وأجابوا عليها إجابات مستفيضة .

يقول الشيخ أحمد شاكر مجليّا هذه النقطة : (كلا ، ... أخطر من ذلك ، ومقصدنا أسمى من أن نجعله تنازعا بين ... أو تناحرا بين فريقين . إنما نريد رفع ما ضُرب على ... من ذل ، وما لقيت شريعتهم من إهانة بوضع هذه القوانين الأ...

---

(٣) الأستاذ طارق البشرى : حركة التجديد فى التشريع الإسلامى ص ١٠٧ ... (الحوار) العدد ١ - ربيع ١٩٨٦ م / ١٤٠٦ هـ (النمسا) .

إنا ندعوكم بدعوة الله ، ندعو الأمة أن تعود إلى حظيرة الإسلام ، ندعو إلى وحدة القضاء ، وإلى التشريع بما حكم الله ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ﴾ النور : [illegible]

﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ﴾ الأحزاب : ٣٦ .

ضعوا القوانين على الأساس الإسلامى ، الكتاب والسنّة ، ثم افعلوا ما شئتم ، فليحكم بها فلان أو فلان ، لسنا نريد إلا وجه الله)[٤] .

(ب) العقيدة والنظـم :

إن الركائز التى تستند إليها العقيدة والنظم فى هذا المجال ثابتة وأصيلة ، فضلا عن أنها تميزنا كأمة ، **وتقدّم لنا البدائل فى المجالات العقدية الثقافية والأخلاقية السلوكية والعلاقات الاجتماعية بحيث تجعل من حضارتنا حضارة متميزة بخصائص لا تشاركنا فيها أية حضارة أخرى** ولعل أدق وأشمل ما قيل عنها هو ما ذكره ابن القيم فى نص طويل يضعنا على الطريق الصحيح فى تقويم عقائدنا ونظمنا وسلوكياتنا بميزان الإسلام :

(٤) الكتاب والسنّة : ص ٢٩ / ٣٠ وهذا النص مقتبس من محاضرته الملقاة بتاريخ ٦ ربيع الأول سنة ١٣٦٠ هـ الموافق ٣ ابريل سنة ١٩٤١ م .

قال ابن القيم : (إن الله سبحانه أغنانا بما شرعه لنا من الحنيفية السمحة وما يسره من الدين على لسان رسوله ﷺ وسهله للأمة من الدخول فى الآصار :

كما أغنانا عن كل باطل ومحرم وضار بما هو أنفع لنا من الحق والمباح النافع) .

ويمضى مستطردا موضحا طريقة الحياة وفق منهج الإسلام الذى يشبع الاحتياجات الإنسانية وينظم نشاط الإنسان فى الميادين المختلفة مع تحديد القيم المعنوية الأخلاقية بحيث يتقيد المسلمون بهذا المنهج فى اجتيازهم لطريق الدنيا وفقا لشرع الله تعالى وقواعده القائمة على دعائم الحق والمباح النافع ويميزه عن كل ما عداه .

ونحن نقتبس النص بكامله هاهنا ونحن نتحدث عن **معالم** ذاتية **الأمة** لأنه يحسم قضايانا المثارة على الساحة الآن بين حركات اليقظة الإسلامية ومعارضيها .

يقول ابن القيم : فأغنانا بأعياد الإسلام عن أعياد الكفار والمشركين .

وأغنانا بوجوه التجاريات والمكاسب الحلال عن الربا والميسر والقمار .

وأغنانا بزواج ما طاب لنا من النساء مثنى وثلاث ورباع والتسرى عن الزنا والفواحش .

وأغنانا بأنواع الأشربة اللذيذة النافعة للقلب والبدن عن الأشربة الخبيثة المسكرة المذهبة للعقل والدين .

وأغنانا بأنواع الملابس الفاخرة من الكتّان والقطن والصوف عن الملابس المحرمة من الحرير والذهب .

وأغنانا عن سماع المغازف وقرآن الشيطان بسماع الآيات وكلام الرحمن .

وأغنانا عن الاستقسام بالأزلام طلبا لما هو خير وأنفع لنا استخارته التى هى توحيد وتفويض واستعانة وتوكل .

وأغنانا عن طلب التنافس فى الدنيا وعاجلها بما أحبه لنا وندبنا إليه من التنافس فى الآخرة وما أعد لنا فيها وأباح الحسد فى ذلك وأغنانا به عن الحسد على الدنيا وشهواتها .

وأغنانا بالفرح بفضله وبرحمته وهما القرآن والإيمان عن الفرح بما يجمعه أهل الدنيا من المتاع والعقار والأثمان فقال تعالى : ﴿ **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون** ﴾ يونس : ٥٨ .

وأغنانا بالتكبر على أعداء الله تعاليا وإظهار الفخر والخيلاء لهم على التكبر على أولياء الله تعالى والفخر والخيلاء عليهم فقال ﷺ لمن يتبختر بين الصفين :

« **إنها لمشية يبغضها الله إلا فى مثل هذا الموطن** » .

وأغنانا بالفروسية الإيمانية والشجاعة الإسلامية عن الفروسية الشيطانية وحمى الجاهلية .

وأغنانا بالخلوة الشرعية حال الاعتكاف عن خلوة ... يترك لها الحج والجهاد والجمعة والجماعة .

كما أغنانا بالبراهين والآيات التى أرشد إليها ... المتكلفة المتعسفة المعقدة الكلامية .

قال المبعوث بالحنيفية السمحاء صلى الله عليه وسلم (ما تركت من شئ ... إلى الجنة إلا وقد حدثتكم به ، ولا تركت من شئ يبعد ... إلا وقد حدثتكم به وتركتكم على البيضاء . ليلها كنهارها ... عنها بعدى إلا هالك)(٥) .

(ج) الإسلام دين (علمى موثّق) :

ومن المقومات الذاتية المميزة للإسلام أنه دين علمى موثق ... المعايير المعترف بها ، وإلّا فكيف نعلل إسلام بعض أفذاذ ... الغرب وعلمائه فى وقت انحسار حضارة المسلمين ؟

ما الذى جذب هؤلاء إلى الإسلام ودفعهم إلى دراسته والترحيب بعقيدته عن اقتناع ويقين ؟

---

(٥) ٦٤ / ٦٦ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان جـ٢ ط الحلبى ١٣٨١ هـ – ١٩٦١

الجواب بلاشك يكمن فى الدعائم التى يقوم عليها الإسلام ، فهو يعتمد على الحجج والبراهين العقلية ، فهو دين (علمى) إن صح التعبير حيث يقدم الأدلة الموثقة تاريخيا على صحة مصادره ، ويخاطب البشرية فى العصور كلها باللغة الملائمة لها . قال تعالى :

﴿ **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** ﴾(٦) فصلت : ٥٣

لذلك نرى فى إسلام أمثال هؤلاء الجهابذة ما ينبهنا إلى الكنوز التى بين أيدينا ويحفزنا إلى العناية بها والعمل على ضوئها ودعوة البشرية إليها ، أى القيام بالدور القيادى مرة أخرى كما قال تعالى :

﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾ الأنعام : ١١٠ .

---

(٦) على سبيل المثال يُنظر كتاب موريس بوكاى : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ترجمة الشيخ حسن خالد - المكتب الإسلامى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

ويقول الأستاذ وحيد الدين خان :

(فى القرن التاسع عشر ظهرت ثورتان كانتا على درجة كبيرة من الأهمية من وجهة النظر الإسلامية : الأولى تمثلت فى تصحيح الاستشراق الذى استمر سبعمائة سنة ، وكأنه كان اعترافا عمليا من أهل الغرب بصدق الإسلام ، والثانية ظهور فن النقد الأعلى Higher critisism وكان بمثابة اعتراف بالقرآن دون كتب الملل الأخرى ككتاب ثابت تاريخيا ، وهكذا وضع القرن التاسع عشر أرضية علمية على مستوى رائع للدعوة الإسلامية بطريقة مدهشة حقا) .

من كتاب (واقعنا ومستقبلنا فى ضوء الإسلام) ص ٢٥٦ / ٢٥٧ ترجمة د/ سمير عبد الحميد إبراهيم . ط دار الصحوة بالقاهرة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م .

وإننا معشر الأمة الإسلامية مهما حدث لنا سواء بأيدينا أو أيدي أعدائنا – على أثر الاستعمارين الظاهر والباطن – مازلنا في المكانة الأفضل بالمعنى الحضاري الذي نعنيه : حضارة القيم الإنسانية والمثل العليا والفضائل الأخلاقية ، قد لا تكون عامة كما كانت في أجيال مضت ، ولكنها موجودة على أية حال ، ومازال الحرص على عبادة الله تعالى بالصلاة والزكاة والصيام و الحج كائنا ، وأعداد المقبلين على التدين يزداد .

ومازالت غالبية سكان العالم الإسلامي محافظة على الإيمان بالله تعالى ، ومازال التقيد بأعمال البر والتحلي بالفضائل ملاحظا مشهودا في قطاعات اجتماعية لها وزنها في الريف والأحياء الشعبية بالمدن .

كذلك فإن الأسرة المسلمة مازالت في أغلب بلاد الإسلام متماسكة تحافظ على بر الوالدين وصلة الأرحام . ومازال شبابنا بالمقارنة بشباب أوروبا وأمريكا بخير وبخاصة الشباب المتدين .

وهناك مؤشرات لا تخطئها عين الباحث : مثل الإقبال الهائل على المصارف والشركات الإسلامية ، وزيادة عدد المعتمرين والحجاج عاما بعد عام .

وما على القادة والساسة والعلماء إلا تحريك إيمان الأمة وتوظيفه واستثماره – إن صح التعبير – والإفادة من إشعاعه على مستوى العمل والإنتاج وإيقاظ الهمم والتنافس على التقدم التكنولوجي في العصر الحديث .

وإن تاريخنا المعاصر ليشهد بتجارب مشابهة فى ميادين القتال خاصة فى حرب رمضان (أكتوبر) فى سيناء ، وانتصار المجاهدين الأفغان ، وثورة المساجد فى أرض فلسطين المغتصبة .

وقد لا نجد بين أيدينا الإحصائيات اللازمة للاستقراء ، ولكن هناك مؤشرات لها مدلولاتها ، التى لا تخفى على عين أى باحث أو مراقب :

منها الحنين الجارف إلى الدين والعودة إلى واحته الوارفة الظلال ، وهى ظاهرة عامة فى أنحاء العالم الإسلامى كله بل امتدت إلى القارتين : أوروبا وأمريكا ، وليست منحصرة فى الشباب وحدهم بل شملت فئات كثيرة ، وتشملها طبقات اجتماعية مختلفة ، ودخل فى دائرتها شخصيات مختلفة العقائد والثقافات والمهن ، ونلمح أيضا تحولات - ممن بدأوا حياتهم من موقع ثقافى غربى - لدى بعض الشخصيات البارزة إلى اقتناع نهائى بسمو الإسلام على سائر الثقافات والأنظمة .

ونحن فى حاجة إلى مراكز بحوث علمية إسلامية ترصد هذه الظواهر إذا أردنا التهيؤ لحياة المستقبل كما تفعل دول الغرب بمؤسساتها ومراكز بحوثها المنتشرة فى العالم وهى لا تكل من مراقبة العالم الإسلامى بعيون الخبراء والعلماء المؤهلين للرصد والتحليل والدراسة ووضع الخطط للتعامل الاقتصادى والسياسى(٧) .

---

(٧) على سبيل المثال يُنظر كتاب : (الأصولية فى العالم العربى) تأليف ريتشارد هرير دكمجيان ترجمة وتعليق عبد الوارث سعيد ، ط دار الوفاء ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .

(د) استمرارية الأمة :

إذا لجأنا إلى التاريخ فإننا نهدف فقط إلى إثبات استمرارية الأمة حية بالرغم من السهام التى صوبت إليها والأزمات التى حلت بها .

ويزداد يقيننا بهذه الحقيقة إذا تدبرنا كتاب الله تعالى ونظرنا فى بعض آياته . قال تعالى : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا** ﴾ النور : ٥٥ .

وقال عز وجل : ﴿ **إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون** ﴾ آل عمران : ١٦٠ .

وقال سبحانه : ﴿ **كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين** ﴾ البقرة : ٢٤٩ .

وعندما فهم المسلمون هذه الآيات وعملوا بها وارتفعوا إلى مستواها ليصبحوا أهلا للنصر ، أخذ الله تعالى بأيديهم إلى النصر بالرغم من قلة عددهم وعدتهم وتفوق أعدائهم عليهم جيوشا وأسلحة ، وهاكم (هرقل) ملك الروم يبدى دهشته ويتعجب من ذلك فيسأل من حوله هذا السؤال الباحث عن السر ، قال : فأنتم أكثر أم هم ؟ قالوا : بل نحن أكثر منهم أضعافا فى كل موطن .

قال : فما بالكم تنهزمون ؟ فقال شيخ من عظمائهم : من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار ويوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويتناصفون بينهم ، ومن أجل أنا نشرب الخمر ونزنى ونرتكب الحرام وننقض العهد ونغضب ونظلم ونأمر بالسخط ونهى عما يرضى الله ونفسد فى الأرض فقال : (أنت صدقتنى)(٨).

وإذا التزمنا بنفس صدق مستشار هرقل عند تحليل أوضاعنا الراهنة على ضوء المستوى الذى بلغه أهل تلك القرون ، لأصبح معقولا ومنطقيا أن نلح على طلب الارتقاء للوصول إلى مراتبهم ودرجاتهم العالية بالسير على مناهجهم مع معرفتنا بصعوبتها على النفوس المترفة اللاهية .

ولكننا مع الأسف نُفجع – خلافا للمعقول – بالعبارة الساخرة التى يرفعها أصحاب هذه النفوس فى وجوهنا قائلين (أنتم تريدون الرجوع بنا إلى الوراء) !!

وهى مغالطة سافرة ، وتحمل فى طياتها أيضا التعبير عن إرادة عاجزة عن القيام بتلك الأعباء الثقال !

---

(٨) ابن كثير « البداية والنهاية » جـ ص ١٥ نقلا عن (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) للعلامة أبى الحسن الندوى .

وندعو القارىء ليتدبر على مهل رأى مستشار هرقل مرة أخرى .
وحينئذ سيستخلص سنة من سنن الله تعالى فى النصر والهزيمة .
وأصبح واجبنا الأخذ بهذه السنّة والإلتزام بها .

وأما الآية التى وعد الله تعالى بها نصرة دينه وظهوره على الدين كله بقوله : ﴿ **هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** ﴾ الصف : ٩ ، هذه الآية لا تتعارض مع ما قبلها من حيث الأخذ بالأسباب ، إذ لو فهم الرسول ﷺ أنها ماضية تلقائيا بغير جهد إنسانى متواصل لما قرأنا فى سيرته إنه دعى إلى الله تعالى بالكلمة والحجة وجاهد فى سبيله عز وجل بالنفس والمال والسلاح ، ولكنه فعل ذلك كله ﷺ .

ألا تحثنا الآية على الوقوف عند مغزاها ومدلولاتها ، وتجعلنا نستضىء بأعماله لنوقن بأن الظهور لا يأتى إلا إذا أخذنا بأسبابه وتحركنا بدواعيه ؟ **هذا هو الدرس الأول** .

أما الدرس الثانى فلكى نتأكد من بقاء الأمة واستمراريتها على مدى القرون ، وذلك بخلاف الرأى المخالف الذى يصور انتهاء الأمة ونظامها بانتهاء الخلافة الراشدة فيتجاهل بذلك تاريخا حيا واقعيا ما زالت آثاره ماثلة أمامنا ، إذ أن الأمة لم تنته ولم تفقد ذاتها بانتهاء الخلافة الراشدة ، كذلك لم يقتصر نظامها السياسى فقط على هذه الفترة المثالية . صحيح إنه فقد مثاليته ولكنه ظل باقيا :

يقول الإمام المودودى – رحمه الله تعالى : (بيد أنه من الخطأ الشديد أن نظن أن هذه التغييرات السياسية قد قضت على نظام الحياة الإسلامى كله قضاء تاما ، إذ أن بعض الناس طالعوا التاريخ مطالعة سطحية ثم قرروا ببساطة أن الإسلام لم يعش غير ثلاثين عاما انتهى بعدها تماما ، مع أن الأمر يختلف عما قرره كل الاختلاف) ولم يفطن هؤلاء إلى أن كل ما حدث ما هو إلا انقسام فى القيادة فقط إلى قسمين – القيادة السياسية والقيادة الدينية ويقرر المودودى رحمه الله أنه لم يتأثر من المسلمين بهذه التفرقة المذهبية غير ثمانية أو عشرة فى المائة على الأكثر ، أما بقيتهم الباقية فكانت على مذهب الجمهور [٩] .

وهذا أيضا ما يقرره الدكتور حسين مؤنس ، فبعد بيان أن الأنظمة الخاصة للأئمة قامت على أكتاف القضاة والفقهاء فنجت الأمة من مساءات الحكام ومظالمهم ، وظلت الحضارة الإسلامية كثمرة لجهود الأمة نشطة معظم الوقت تقريبا ، وحتى فى أحوال الركود ، فإن الأمة كانت تغذى مؤسساتها الحضاريه كالقضاء والتعليم والفقه والحسبة وغيرها مما لم يصل بحالة الركود إلى درجة الجمود التام [١٠] .

---

(٩) المودودى / الخلافة والملك ص ١٣٥ ، ١٤٨ تعريب أحمد إدريس ط دار القلم بالكويت ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م .

(١٠) د . حسين مؤنس / الحضارة ص ١٧٤ الكويت .

ونعتقد أننا بذلك نكون قد وجهنا أنظار خصوم التراث السياسى الإسلامى إلى مصادر أخرى لإعادة النظر فيما ورثوه من أفكار (جاهزة) إما بسبب قراءات مجزأة أو استمداد مصادرهم من المستشرقين وتلاميذهم .

ونرشح من البحوث والدراسات العميقة المبتكرة دراسة الدكتور حامد ربيع التى تجعلنا فى موضع الفخر بتراثنا السياسى لأنه قلب الموازين وخلص إلى حقائق مذهلة تفاجئ كل من اعتاد ترديد الأحكام الجاهزة عن طريق التلقين بالطعن فى النظام السياسى الإسلامى بل إنكاره !

ويستخلص الدكتور حامد ربيع من بحوثه المتشعبة فى هذا الميدان أن المفهوم الإسلامى للممارسة الديمقراطية كفلسفة للحياة وللتعامل ظل ثابتاً ونبعت من أربعة متغيرات :

المتغير الأول : احتقار الحياة وازدراء المظاهر المادية للوجود الإنسانى مستنداً إلى كتاب « خالد » إلى ملوك الفرس حيث قال (أدخلوا فى أمرنا ندعكم وأرضكم . وإلا كان ذلك وأنتم كارهون على غلب ، على أيدى قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة ، ويرغبون فى الآخرة كما ترغبون فى الدنيا) .

المتغير الثانى : خضوع الإنسان للقدرة الإلهية ظل ثابتاً خلال جميع مراحل التاريخ الإسلامى فلم نعرف أى خليفة شكك فى هذه الحقيقة أو خرج عليها علانية وبصراحة .

المتغير الثالث : تقديس الإلتزام الاجتماعى .

المتغير الرابع : استعداد الفرد للمخاطرة بحياته فى سبيل حماية الكرامة الفردية ، وهناك أمثلة كثيرة لعل أبرزها محنة ابن حنبل وابن تيمية وهما يعبران عن تماسك التقاليد الإسلامية من جانب القا[illegible] الممارسة بالرغم من مرحلة التحلل حينذاك(١١)

أما عمّا يثار من الاختلا[illegible] [illegible] المسلمين ، فإن من أفضل صور التنازع أو [illegible] ما اورده ابن قتيبة على لسان المأمون :

[قال المأمون لمرتد إلى النصرانية :

خبِّرنا عن الشيء الذى أوحَشَك من ديننا بعد أُنسِك به واستيحاشِك مما كنتَ عليه ، فإن وجدتَ عندنا دواءَ دائِك تعالجتَ به ، وإن اخطأ بك الشِّفاءُ ونبَا عن دائك الدَّواءُ كنت قد اعذرتَ ولم ترْجع على نفسك بلائمة وإن قتلناك فتلناك بحُكم الشريعة وترجع أنت فى نفسك إلى الاستبصار والثِّقةِ ونعلم أنك لم تُقصِّر فى اجتهاد ولم تُفرط فى الدخول من باب الحزم قال المرتدُّ :

أوحشنى ما رأيتُ من كثرة الاختلافِ فيكم .

قال المأمون : – لنا اختلافان : **أحدهما** كالاختلاف فى الأذان والتكبير فى الجنائز والتشهُّد وصلاة الأعياد وتكبير التشريق ووُجُوه

---

(١١) سلوك المالك فى تدبير الممالك جـ١ ص ١٤٧ / ١٤٨ باختصار ط دار الشعب ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

ات ووجوه الفُتيا وهذا ليس باختلاف ، إنما هو تخيير وسعة
نَ من المِحْنة فمن أذنَ مثنى وقام مثنى لم يخطىء ومن أذن مثنى
فُرادى ولا يتعايرون بذلك ولا يتعايبون والاختلاف الآخر
و اختلافنا فى تأويل الآية من كتابنا وتأويل الحديث مع
صل التنزيل واتفاقنا على عين الخبر فإن كان الذى أوحشت
أنكرْتَ هذا الكتاب فقد ينبغى أن يكون اللفظ بجميع
بيل مُتفقًا على تأويله كما يكون متفقا على تنزيله ، ولا يكون
اليهود والنصارى اختلافٌ فى شىء من التأويلات وينبغى
رجع إلا إلى لغة لا اختلاف فى تأويل ألفاظها ، ولو شاء
زل كُتُبَه ويَجعَلَ كلامَ أنبيائِهِ وورثة رُسله لا يحتاج إلى تفس
، ولكنّا لم نَرَ شيئا من الدين والدنيا دُفِع إلينا على الكفاية
كان الأمر كذلك لسقَطَت البَلْوى والمحنة ، وذهبت
فسة ولم يكن تفاضلٌ ، وليس على هذا بَنَى الله الدنيا .

ال المرتد : أشهدُ أن لا إله إلا الله وأن المسيح عبدٌ ، وأن محمد
قٌ ، وأنك أميرُ المؤمنين حقًّا »(١٢) .

١٢) ابن قتيبة : عيون الأخبار المجلد الثانى ص ١٥٤ (٢١٣/٢٧٦ هـ) صع

(٨)

الأمة الإسلامية والعصر

الأمة الإسلامية والعصر

نظم العصر وقيمه :

العصر لفظ دال على أواخر القرن العشرين[1] الذى نعيش فيه ، ولا يُقصد به مدلول (الزمن) .

فإذا تحدثنا عن عصرنا فنعنى بذلك طبيعة الحياة الإنسانية والنظم السائدة التى تحكمها .

فما هى طبيعة الحياة فى عصرنا الحاضر ؟

لكى تتبين لنا الإجابة على هذا السؤال ، لابد من التعرض بإيجاز للأنظمة السائدة والتى تحكم أنل العصر الحاضر بفلسفاتها وخططها وأهدافها .

ولاشك أن أهم تيارين هما التيار الماركسى أو الاشتراكى أو الشيوعى فى روسيا وأوروبا الشرقية والتيار الديمقراطى الرأسمال فى أوروبا الغربية وأمريكا .

ولكن الدارس المتعمق لكلا التيارين يقف على الجامع المشترك بينهما أى (المادية) ، (فإن كانت اليسارية المتمركزة حول الماركسية تبنت المادية كشعار أيديولوجى فكراً وأسلوبًا فالليبرالية

---

(١) طغى أيضا هذا التعبير وكاد ينسينا التقويم الهجرى ، وهو أيضا من آثار الغزو الثقافى .

.. سه عملية تعيشها حيث فعلا وممارسة ، دون ما حاجة .. .. ..
.... حتى .. .. .. واحتكارها)[٢]

أما هدف كلا .. فهو السيطرة على دول العالم الثالث ....
دون العالم الإسلامي . كل ذلك يتم وراء كلمات وشعار .. .. ..
مثل :

- مفهوم (الحرية) .
- مفهوم (التحضر) .
- مفهوم (الأمن والسلام) .

بينما التطبيق على أرض الواقع والتعامل مع الشعوب معدود
ولا تخدعنا الشعارات البراقة المتغيرة حسب الظروف والأحوال .
وكلها تحمل دلالات جذابة كالضياء التى تجذب الفراش ويكون ..
مقتله .

مثلا يعلنون (أنهم أنصار الشعوب الصغيرة في التنمية والرخاء
والتطور والحرية والاستقلال) بينما معاملاتهم تهدف إلى النقيض
من هذه المدركات .

ويعلنون (الحرية) وهى فى قاموسهم تعنى تخلى الشعوب
عن إرادتها ورضاءها بما يفرضون عليها من توجيهات .

---

(٢) نظرات إسلامية للإنسان والمجتمع من خلال القرن الرابع عشر الهجرى ص ٧٤
د/ رشدى فكار - مكتبة وهبة بالقاهرة سنة ١٩٨٠ م ١٤٠١ هـ

أما مفهوم (التطور) وهو أشدها جاذبية ، فيعني (أن تتجرد الشعوب فى جميع مساراتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفكرية عن كل تاريخها وتراثها الحضارى وأصالتها العقيدية والقومية والوطنية)[٣] .

التحديث على النمط العصرى وتقويمه :

ترددت ألفاظ متشابهة المضمون : كالتحديث والتقدم والعصرية ، ويقصد بها مجاراة العصر وصياغة حياتنا وفق مفاهيمه وأساليبه ، وعندئذ لابد أن يُجابه العصريون بسؤال ضرورى يحتاج إلى إجابة وهو : هل معنى هذا أن نلقى وراء ظهورنا بتراثنا وقيمنا ؟

وإذا كانت الإجابة بالنفى قطعا إذا أردنا المحافظة على ذاتية الأمة والإبقاء على هويتها ، فإننا نرى أيضا أن إثارة الشك حول إمكان الجمع بين الأصالة والعصرية معاً يحمل بين طياته دلالة التشكيك فى مقدرة الأمة على الاستمرار فى أداء رسالتها ، وإلّا ، فكيف عاشت طوال القرون الماضية وكانت حضارتها مكتسحة ومتفوقة فاستوعبت ثقافات أمم أخرى ، بل قاومت ألوانا من الغزو الاستعمارى ربما كان أشد وأعتى مما تعانيه الأمة فى السنين الأخيرة !

---

(٣) مجتمعاتنا المعاصرة والطريق إلى الإسلام ص ١٠٣ نور عالم خليل الأمينى – ط دار الصحوة بمصر سنة ١٩٨٨ .

ومن الملاحظات الجديرة بالتنويه أنه لم يظهر فى تاريخنا قط هذا التوقف للبحث والتساؤل لأن علماءنا قاموا بصد الطارىء والدخيل على عقائدنا وعباداتنا وقيمنا ونظمنا محذّرين منذرين .

ربما يعتبرهم البعض أنهم (كانوا محافظين أكثر من اللازم) ولكننا نجد لهم بعض العذر الآن بعد انزلاق الأمة فى تيار التقليد . فقد حذَّروا وأنذروا بدافع من حرصهم الشديد على ضرورة المحافظة على الأصالة والوعى بالذات ، وكانت نظرتهم أكثر صوابا من أصحاب نظرية (التحديث على النمط الغربى) فالسبيل إلى الرق هو الأخذ بالحضارة الأوروبية خيرها وشرها ، حلوها ومرها وما يحمد منها وما يعاب !

وبصرف النظر عن مضمون الفكرة عند التنفيذ لأنها تؤدى إلى (الفناء فى خصائص أخرى) فإن ذلك يستحيل تحقيقه ، لأن (لكل حضارة روحا خاصة بها تظهر فى وجوه المدنية العديدة . وهذه الروح يمكن أن تضعف ، ولكنها لا يمكن أن تموت)[٤] .

وكانت حضارتنا (نائمة) بتعبير توينبى فيلسوف التاريخ حينذاك ، ولكن النائم لابد أن يستيقظ والمخلصون من أبناء الأمة يفضلون إيقاظها والعمل على انعاشها لتدب الحركة فى جسدها وتنشط من جديد بدلا من (إفنائها) فى حضارة أخرى ، أو محوها

---

(٤) تفسير التاريخ ص ٢٩ عبد الحميد صديقى ، ترجمة د/ كاظم الجوادى ط دار القلم بالكويت (١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م) .

إلى تابع ذليل ، كالعبد الذى يرضى سيده بتقديم التضحيات تلو الأخرى ، ولكن السيد يأبى إلا المزيد .

هذه الصورة التقريبية سجَّلها الشيخ مصطفى صبرى فى معرض حديثه عن علاقة الشرق بالغرب ، فقال (ولكن أين ذلك من الغرب الذى يعُمه فى طغيانه ويريد أن يخرج الشرق المسلم من دينه ويعاديه لدينه وقرآنه ؟ وهذا فى حين أن المسلم الغافل يتنازل عن شطر دينه ومعجزات نبيه - ﷺ - تزلفاً إليه ، وهيهات لا يرضيه إلا التنازل عن الشطر الباقى أيضا)[٥] .

ولم يكن الشيخ - رحمه الله تعالى - ملهماً بقدر ما كان واعيا بحقيقة المعركة بين الأصالة وما يسمى بالتحديث - وهو فى حقيقته التغريب أو التفرنج) حيث وقف وحده واثقا بدينه ومعتزا بإيمانه إزاء

---

(٥) القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون ص ٨٨ ط دار السلام - القاهرة - حلب - بيروت سنة ١٩٨٦ م .

وكان الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله - من علمائنا الذين عارضوا موجة التأويل ليتفق الإسلام مع العصر فوصف المتأولين لآيات القرآن بقوله : (فمن متأول لآياته غير مؤمن به ، يريد أن يفسرها على غير ما يدل عليه صريح اللفظ فى كلام العرب ، حتى يوافق ما آمن به ، أو ما أشربته نفسه ، من عقائد أوربة ووثنيتها وإلحادها - أو يقربه إلى عاداتهم وآدابهم - إن كانت لهم آداب - ليجعل الإسلام دينا عصريا فى نظره ونظر ساداته الذين ارتضع لبانهم ، أو رُبىَ فى أحضانهم) . ص ٥ من كتاب (كلمة الحق) ط دار الكتب السلفية بالقاهرة ١٤٠٧ هـ

من أطلق عليهم أسماء (الكتاب المصريون) أو (المستغربون) أو (الطائفة العصرية) .

والآن ، بعد انقضاء السنوات الطوال على بداية المعركة ، بدأت تظهر بعض الحقائق التى كانت تدور وراء الكواليس الاستشراقية والسياسية الأوربية .

ولندع برنارد لويس يتكلم مفصحاً عن بعض ما كنا نجهله . ولكنه يطابق توقعات الشيخ مصطفى صبرى بحذافيرها :

يجيب برنارد لويس على السؤال (ما هى نتيجة عملية التغريب) ؟ فيقول :

وهذا سؤال يجدر بنا نحن الغربيين أن نوجهه لأنفسنا ، لقد كانت عادتنا التى تعودناها فى العالم الغربى هى : كلما اتجه الشرقيون إليه كلما ازداد تمسكنا بالغرب لنجعل أنفسنا مثالا للفضيلة والتقدم فإذا تشبهوا بنا عددنا ذلك أمرًا حسنا ، وإذا لم يكونوا كذلك عددنا ذلك سوءً أو شرًا .

فالتقدم هو فى التشبه بنا . أما إذا لم يقتدوا بنا فذلك هو التقهقر والاضمحلال !! إلا أن الأمر ليس كذلك بالضرورة ، فعندما تصطدم مدنيتان تسيطر إحداهما وتتحطم الأخرى .

قد يبرى المثاليون والمفكرون فيتحدثون بطلاقة وسهولة عن تزاوج بين أحسن العناصر من المدنيين ، إلا أن النتيجة العادية فى هذا التلاقى هى تعايش بين أسوأ العناصر من الاثنين)[٦] .

والحق أننا لا نواجه (كارثة) من نوع جديد ، بل سبق أن واجهنا من الكوارث ما هو أشد قوة وخطرا ، ولنتذكر حروب الفرس والروم[٧] فى بداية عصر الإسلام كما واجهنا الاكتساح التتارى وأنقذنا منه أنفسنا والعالم معنا ، وأنهينا الحروب الصليبية لصالحنا بعد كروفردام نحو قرنين من الزمان .

---

(٦) الغرب والشرق الأوسط ص ٥٦ - ٥٧ تعريب د / نبيل صبحى (كتاب المختار) بالقاهرة .

ويرى جارودى أن مفهوم (**التحديث**) غلب عليه مفهوم الاقتداء بالغرب ، ويرى أن إقحام الاحتياجات الغربية فى حياة المسلم قادته لأن يصبح غريبا عن نفسه وذريته وتاريخه وثقافته ومستقبله . إن ما اقترح على العالم العربى الإسلامى ليتخذ طابع **الحداثة** هو أن يمر بالمراحل ذاتها التى اجتازتها أوروبا منذ أربعة قرون . وأن يعتبر ماضى الآخرين على أنه مستقبل له ! ص ١٨٣ من كتاب (الإسلام دين المستقبل) ترجمة عبد المجيد بارودى ط دار الإيمان بيروت - دمشق سنة ١٩٨٣ م .

(٧) يقول ابن خلدون : [وكيف كان استيلاؤهم - أى المسلمون - على فارس والروم لثلاث أو أربع من وفاة النبى ﷺ واعلم أن ذلك إنما كان معجزة من معجزات نبينا سرها استماتة المسلمين فى جهاد عدوهم استبعاداً بالإيمان وما أوقع الله فى قلوب عدوهم من الرعب والتخاذل] .. ص ٣٠١ المقدمة ط التجارية بمصر .

نعود إلى الملاحظة الجديرة بالتنويه : أنه لم يظهر فى تاريخنا قط هذا التوقف وهذا التساؤل : هل نمضى قدما متابعةً واستمراراً حر... تاريخنا الفيّاض بالمواقع تلو المواقع التى تحقق فيها النصر لأننا ... بعقيدتنا وتراثنا الحضارى الإسلامى أو نتوقف حائرين باحثين عن أيهما نفضل : الاستمساك بالتراث أم مجاراة العصر ؟!

طبيعة تراثنا ومميزاته :

إذا أطلق لفظ (التراث) على الإسلام فإنما بغرض بث ... التشكيك فى قيمه ومدى قدرته على الارتقاء بالأمة من جديد ... عصور الاستعمار والقهر والتبعية !

ويدور أصحاب هذا الاتجاه على المطالبة (بفرز) التراث ... ما يصلح منه للعصر واستبعاد غيره .

فإلى أى مدى يمكن تطبيق هذا الرأى الغريب ؟

هل يقصد به القرآن والسنّة ، أم العبادات وأهمها الص... أم نظمه التشريعية الراقية ، أم قيمة الأخلاقية الثابتة ؟

ولابد منذ البداية – حتى لا تختلط المدركات والمفاهيم – أن ... التعريف الموجز للإسلام كدين ومنهج حياة ؛ أو دين وحضارة ... وليس مجرد تراث كغيره من تراث البشر القابل للفرز والتنقية ... وبهذا التحديد ليس الإسلام (دينا خالصا وإنما هو نظام اجتماعى

كامل ، وأنه ليس مجموعا من الطقوس والعبادات يتقرب بها الإنسان لربه - عز وجل - وإنما هو مجموع من القواعد والأنظمة التي يستطيع الناس أن يعيشوا بمقتضاها ، ومن هنا كان الإسلام حضارة كاملة ونظاما جامعا ، استطاع أن يمد بلاد الشرق بكل مقومات الدول وأساليب السياسة والحياة والتشريع والحضارة مدى بضعة قرون)[٨] .

فما المقصود إذن عن البحث فى (التراث) ؟ أو وضعه مقابل (العصرية) ؟ إن تراثنا يختلف عن تراث أية أمة أخرى لإنه ميراث النبوة ويتسم بالحيوية والخلود لأن مصدره الوحى الإلهى ، لا قرائح البشر ، وإن كان لعلمائنا - علماء الحديث والأصول والفقه - دور ، فهو فقط المحافظة عليه نقيا خالصا حتى لا تختلط به (البدع) التى من صنع البشر ، أو تفسيره وشرحه لعامة المسلمين .

والتراث بهذا التحديد لا يقتصر على الماضى التاريخى ولكنه باق إلى قيام الساعة[٩] ، ولا يحتاج إلى (إعادة نظر) أو (فرز وتدقيق)

(٨) الشرق الأوسط فى العصر الحديث ، د/ حسين مؤنس ص ٩ ط المكتبة التجارية بمصر سنة ١٩٣٨ م ، ويقول فى كتابه (الإسلام حضارة) : وحيث أن الإسلام فى ذاته حضارة لا قاعدة حضارية كما يقولون - فهو دين الجماعة ودين الأمة ... والأمة هى التى تطبق الدين وتحفظه وترعاه وهى التى تنشره بين الناس) ص ١١١ ط الدار السعودية - جدة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

(٩) يفسر الأصفهانى الحديث (إنَّا معاشر الأنبياء /لا نورث، ما تركناه صدقة) بأن ما تركه الأنبياء هو العلم وهو صدقة تشترك فيها الأمة ، وما روى عنه عليه الصلاة والسلام من قوله « العلماء ورثة الأنبياء» فإشارة إلى ما ورثوه من العلم . =

لأن علماءنا قد استكملوا الفحص بأدة المناهج العلمية المعترف بها . لاسيما علوم مصطلح الحديث وأصول الفقه ، وبما وضعوه من شروط للتفسير والاجتهاد والإفتاء ، مع بقاء الوحي الإلهي بالكتاب والسنّة لم تمسه يد بشر بتحريف أو تصبغه بالصبغة البشرية .

حاجتنا وحاجة العصر إلى قيم الإسلام وشرعه :

إذا استعرضنا أغلب البحوث التي تلقى وتناقش عادة في ندوات (الأصالة والمعاصرة) ، أو على صفحات الجرائد والمجلات[10] .

= (المفردات في غريب القرآن) ص ٥١٩ . تحقيق محمد سيد كيلاني ط الحلبي ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .

(١٠) نرى ضرورة التنويه بأننا نقصد بحديثنا على هذه الصفحات ما أثير من حملات تشكيك وبلبلة للأفكار حول حركة اليقظة الإسلامية ، وغرضنا تمحيصها ومناقشتها والرد على أهم ما دار فيها .

أما الندوات الهادفة إلى التعضيد والتقويم فلاشك أنها موضع فخرنا وإشادتنا ، ونخص بالذكر تلك الندوة الكبرى التي عقدت بالبحرين (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) لمناقشة (اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر) وتحدد هدفها بأنه البحث في الأعماق (عن الطريق الجديد الذي يمكن أن نستبطن معالمه من خلال مسيرتنا الحضارية عبر هذه الحركات التي انتظمت العالم الإسلامي ، فالمستقبل هو الهدف ، وليس مجرد الوقوف - إيجابا وسلبا - عن أطلال الماضي القريب أو البعيد ، بل لابد أن يتعانق هذا الماضي مع الحاضر ويدفعه إلى الأمام صوب أهدافه المستقبلية المحددة ، مستفيدا من التجارب الحية) . من مقدمة الندوة بقلم د / محمد الأحمد الرشيد ص ٩/١٠ . =

أيناها تهتم بمناقشة موضوعات عدة : من أبرزها بحث الصلة بين التراث والعصرية) ، والمقارنة بين الحضارتين : الإسلامية والغربية ، والإجابة على السؤال المطروح بالشكل الآتى (ماذا نأخذ وماذا ندع من الحضارة المعاصرة ؟) .

وهكذا تتشابك الموضوعات وتتداعى الإيحاءات ، فيُلحق بها أشباهها ونظائرها كالبحث فى التراث : ما هو وما طبيعته ؟ وهل يُقصد به التقاليد والعادات والأعراف ، ومن ثم فقد أدت دورها ولا حاجة للعمل بها فى عصرنا ؟ أو ما الذى نستبقيه صالحا للعصر ؟

ومما يلفت نظر المتابع لآراء ناقدى حركة اليقظة الإسلامية أن خلفياتهم الثقافية ورواسب أفكارهم (الجاهزة) المستقاة من الفكر الفلسفى خاصة ، أدّت إلى حجب الرؤية السليمة لعقائد الإسلام وآفاقه . ويصعب على هؤلاء فعلاً إصدار أحكام صائبة على الإسلام لأنهم مقيدون بأفكار ، ومتشبعون بنظريات يتعذر عليهم التحرر منها وقبول أفكار ونظريات مغايرة ، اللهم إلا إذا انطلقوا بعيدا عنها وأعادوا البحث والتمحيص للتراث العلمى الهائل الذى تركه علماء المسلمين المخطوط منها والمنشور (مع العلم بأن المخطوطات التى

= (ندوة اتجاهات الفكر الإسلامى المعاصر) ، البحرين ٣ - ٦ / ٦ / ١٤٠٥ هـ ٢٢ - ١٩٨٥/٢/٢٥ م .
مكتب التربية العربى لدول الخليج ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

تركها لنا علماؤنا وتقدر بنحو نصف مليون مخطوطة لم ينشر منها أكثر من الخمس) ![11].

ونحن ندعو إلى دراسة الذخائر والنفائس التى تركها لنا علماؤنا فى مجالات العلوم الإنسانية خاصة كالنفس والتربية والاجتماع والسياسة والاقتصاد . وأهميتها مستمدة من ثلاثة عناصر :

١ – أنها بمثابة الحصون التى تصون عقائدنا وعباداتنا وشرائعنا وقيمنا الأخلاقية وتعبر عن الاستقلال والذاتية لثقافة الأمة وأنظمتها .

٢ – أنها تتفوق على ثقافة العصر وفلسفاته .

٣ – أننا بإحياء هذا التراث والعمل به نصبح مؤهلين للتأثير فى العصر – لا التأثر به – أى التقدم للأخذ بيد الإنسانية لأن الإسلام دين الإنسانية ولا يقتصر على شعب أو قوم .

ولا وجه للعجب فى هذا لأن أزمة العصر تحتاج إلى حل من خارج ثقافته وخبرته وتاريخه ونظمه :

وتحت عنوان (ما الذى يجب أن نتعلمه من الإسلام فى الوقت الحاضر) ؟ ، يذكر جارودى بعض الدروس ، نذكر منها :

(أ) إقصاء الأصنام الحديثة فى مجتمعات الغرب كصنم النمو والتطور

---

(١١) سلوك المالك فى تدبير الممالك جـ١ ص ١١٣ د/ حامد ربيع .

والتقنية والفردية والقومية وقوة السلاح والجنس وكل منها يحمل محرماته ورموزه المقدسة وطقوسه (ويؤكد الإسلام رفضه لهذه الأصنام بقوله : لا إله إلا الله والله أكبر)[١٢].

(ب) تعديل موقفنا فى التعامل مع الطبيعة ، فبدلا من الروح العدائية التى دأبنا عليها منذ عصر النهضة ، علينا أن نتعلم من الإسلام كيف حمّل الإنسان مسئولية الحفاظ على توازن العالم لا تدميره – (فبدلا من استهلاك احتياطيات الطاقة الجوفية بشكل عشوائى ، دون أن نحسب حسابا الأجيال اللاحقة ، ولا للأهداف الإنسانية الشاملة ، يعلمنا هذا التفكير أن نعود إلى نبع الطاقة الذى لا ينضب ، المتمثل بالمياه والبحار والشمس والأرض والرياح)[١٣].

ويستشهد جارودى بالآيتين ﴿ **إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا** ﴾ الأحزاب : ٧٢ .

كما يشير أيضا إلى تولى الإنسان منصب (خليفة الله على الأرض) وربما يقصد قوله تعالى : ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة** ﴾ البقرة : ٣٠ .

---

(١٢) الإسلام دين المستقبل ص ١٨٩ .
(١٣) المرجع السابق ص ١٩٠ .

ولكن لابد من الاحتياط في تفسير آية الخلافة والتقيد بالشروط التي وضعها العلماء ، إذ ليست الخلافة منوطة بالإنسان على إطلاقه . بل محددة - كما فسرها الطبري بآدم - عليه السلام (ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه ، وأما الإفساد وسفك الدماء بغير حقها فمن غير خلفائه ، ومن غير آدم ومن قام مقامه في عباد الله)(١٤).

وهناك أيضا عالم غربي آخر - هو أرنولد توينبي - يشفق على حضارته من خطرين داهمين : أحدهما نفسي وهو التمييز العنصري . والثاني مادي وهو شرب الخمر ، ويرى أنه إذا سمح للفكر الإسلامي أن يؤدي دوره . فسيبرهن عن قيم اجتماعية وأخلاقية سامية .

(فعدم وجود التمييز العنصري بين المسلمين هو أحد أبرز الانجازات الأخلاقية للإسلام ، والعالم المعاصر في وضعه الراهن بحاجة ماسة لنشر هذه الفضيلة الإسلامية)(١٥).

وفي مجال التشريعات وإصدار القوانين ، يظهر سمو الشريعة الإسلامية بمقارنتها بالقوانين الوضعية ، فإذا كانت المجتمعات الإنسانية تأخذ في صياغة القوانين كلما دعت الحاجة ، ثم الاضطرار لإجراء التعديلات والتنقيحات على أثر التطبيقات وظهور الثغرات ،

---

(١٤) الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن. جـ١ ص٤٥٢ تحقيق محمود شاكر ومراجعة أحمد محمد شاكر. ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٩ م .

(١٥) الإسلام والغرب والمستقبل ، ص ٦٢ ترجمة د/ نبيل صبحي ط دار العربية - بيروت ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .

واستفحال الأخطاء ، فإن الشريعة فى الإسلام تتميّز بالكمال والإحاطة بكل ما تحتاج إليه المجتمعات فى معاملاتها ، وقد أكد الإمام الشافعى هذه الحقيقة ، وخلاصتها (أن نصوص الشريعة وافية بحكم كل ما يقع من الحوادث ويجد من الوقائع ، فليست هناك واقعة تجدّ إلا وفيها نص من كتاب أو سنة يستدل به على حكم الله فيها . غير أن هذا الحكم قد يؤخذ من لفظ النص ، أو من معقوله بطريق القياس . يقول الشافعى (فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفى كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها)[١٦].

وتفسير ذلك بشكل مجمل أن خط ارتقاء إصدار القوانين والتشريعات بواسطة علماء القانون وفقهائه يتجه – بعد التجارب تلو التجارب وضياع السنين والأجيال – إلى مرتبة الشريعة الإسلامية التى استقرت عليه فى مكانتها السامية منذ نحو أربعة عشر قرنا .

وإذا كان لابد من كلمة نوجهها للمتشككين فى إمكانية الشريعة الإسلامية بالوفاء بحاجات العصر ، فإننا نسوق لهم رأى أحد أساتذة القانون المدنى المقارن بجامعة باريس الذى أثبت (إمكان الاستعاضة عن القوانين المدنية فى أوروبا وأمريكا بالقانون الفرنسى ، وعن القوانين المدنية الاشتراكية بقانون ستالين الصادر فى روسيا

(١٦) نظرية المصلحة فى الفقه الإسلامى ص ٣١٢ للدكتور حسين حامد حسان . مكتبة المتنبى بالقاهرة سنة ١٩٨١ م .
ونص الإمام الشافعى من كتابه (الرسالة) .

سنة ١٩٣٧ م – ولم يفته وهو [illegible] فرنسي – أن يقول إن هذين المتناقضين : قانون ستالين (الذي احتوى جميع القوانين الاشتراكية) ، وقانون نابليون (الذي احتوى جميع قوانين أوروبا وأمريكا) لا يمكن لقانون على ظهر الأرض أن يقارب بينهما . ويمكنه أن يحل محلهما سوى القواعد العامة والكليات الأساسية بالشرع الإسلامى)(١٧).

صلة التقدم التكنولوجي بالارتقاء الحضاري :

أما وصف العصر بأنه عصر التقدم التكنولوجي والوصول إلى القمر واستخدام الكمبيوتر . فلا صلة له بما نحن بصدده ولا يدخل فى صميم قضيتنا ، فإن المسلم معاصر يستخدم العصر وآلاته ، ولا أظن أن هناك خلافاً فى وجوب ذلك وضرورته . بل إن دراسة العلوم التجريبية الحديثة من فروض الكفاية ، ونحن نلاحظ أن الغرب يضنّ علينا بأسرارها بينما يصدّر إلينا آدابه وفنونه الهابطة !

وإذا عبّرنا عن العصر بلغة مفسرى التاريخ والحضارات . فإن التقدم التكنولوجي وحده لا يعبّر عن ارتقاء حضارى :

يقول (جود) : [انظر إلى الطائرة التى يدوى صوتها وهى تخترق السماء الصافية فى الصيف ، لقد تظافرت فى صنعها معرفة

(١٧) الإسلام ومشكلات العصر ص ٩ للدكتور مصطفى الرافعى . دار الكتاب اللبنانى بيروت سنة ١٩٨١ م

الإنسان بالرياضيات وعلم الحركة والآليات ، ومعرفته بالكهرباء والاحتراق الداخلي وعبقريته في تطبيق المعرفة ، ومهارته في صنع الخشب والمعادن .. الخ ، أما الآن فانظر إلى الغرض الذي من أجله استخدمت الطائرة الحديثة والذي يبدو أنها ستظل تستخدم من أجله بازدياد ، إنه إلقاء القنابل التي تدمّر وتخنق وتحرق وتسمم وتقطّع أوصال أناس عُزل)(١٨).

وهكذا تصبح التكنولوجيا – بغير رادع ديني أو أخلاقي – نقمة أكثر منها نعمة ، كذلك ربّما لم يسبق أن أصاب الإنسان الغرور مثلما أصابه في العصر الحديث نتيجة عوامل كثيرة ، لعل أبرزها الاكتشافات العلمية المتصاعدة منذ اكتشاف البخار والتسيير الذاتي للآلة إلى تحطيم الذرة وغزو الفضاء . وأصيب الإنسان هناك بأعلى درجات الغرور ، وظن أنه قادر على وضع الأنظمة والتشريعات وقواعد الأخلاق بنفسه لتحقيق الرخاء والسعادة ، وتجرأ متطاولاً على خالقه – عز وجل ، فظن فريق أنه بإمكانه الحياة منفصلا عن خالقه تعالى بلا عبادة ولا نظام تشريعي وأخلاقي ، وذهب فريق آخر إلى الإلحاد والكفر .

ومن هنا ظهرت مأساة الإنسان في الغرب بسبب الفصل القاطع بين عالم الروح وعالم المادة ، وكأنه – أي الإنسان – هو والعالم حوله مجرد مادة بلا روح أو نفس لها أشواقها وتطلعاتها ، بينما العامل النفسي

(١٨) نقلا عن تفسير التاريخ ، عبد الحميد صديقي ص ١٢٠

A guide to modern Wickedness, Joad p.p. 262-263.

والوجدانى فى الإنسان فى حاجة إلى إشباع من لون خاص ، وهو يختلف نوعاً وكماً عن مجرد الإشباع المادى !

لقد فقد الإنسان هناك (الشعور بالهدف الذاتى)[١٩]، وأصبحت هذه الحضارة المتقدمة (تنتج عوامل انحطاطية أكثر خلال اليأس وفقدان الهدف)[٢٠].

وأصبح العصر فى رأى كولن ولسن (عصر اللا معنى) ففقدان المعنى والهدف يخيم على أدبنا وفننا وفلسفتنا ، هذا الشعور العام بأن التأكيدات التى يمنحها الدين قد ضاعت ولا يمكن استبدالها ، فتحليل العلم للمشكلات العلمية يزيد فى اتساع هوة الفراغ المؤلم ، ومن خلال هذا تبدو الثقافة الغربية تعانى الانهيار والانتكاس لما لا يقل عن مائة سنة ، إذ أن الأمر ليس إلا مسألة تفكير فى معرفة المدة التى تستمر فيها قبل أن يلتهمها الإفلاس الماحق)[٢١].

---

(١٩) ما بعد اللا منتمى (فلسفة المستقبل) ، كولن ولسون ص ٢٠٢ ترجمة يوسف شرور وعمر يمق دار الآداب – بيروت سنة ١٩٨١ م .
(٢٠) المرجع السابق ص ١٧٤ .
(٢١) المرجع السابق ص ١٥ .

ثقافة العصر الفلسفية :

الفلسفة هى العمود الفقرى للحضارة الغربية ، وهى ثمرة ثقافتها المتولدة منذ فلاسفة اليونان وعلى امتداد الأجيال ، تعبر عن تصوراتها ونظرتها للحياة وللإنسان وللعالم من حولها .

ولم تلق الفلسفة اليونانية – فى تاريخنا الثقافى الإسلامى – المعارضة لأنها تعتمد على (العقل) ، كلا ، لقد عارضها علماء السنة لأنها تعبر عن فكر وثنى يتعارض مع الوحى الإلهى ، وهو المصدر الأوحد والأوثق لمعرفة حقائق عالم الغيب الذى يعجز الفلاسفة عن الوصول إليه لافتقادهم لوسائل إدراكه لأن مبلّغيه هم الرسل والأنبياء وحدهم ، واصطحبوا معهم الأدلة على صدقهم فى شكل (آيات خارقة) أو (معجزات) إلى أن جاء خاتمهم ﷺ بالمعجزة الباقية : القرآن الحكيم !

ويضيق المقام عن الإسهاب فى تناول الفلسفة ، غير الذى يعنينا هو إذا كان من محاسن الفلاسفة الذين يقرون بالميتافيزيقا (أى ما وراء الطبيعة) أنهم أقروا (بوجود الله سبحانه ، وحدوث العالم ، وحرية الإرادة وخلود القيم التى من أجلها عاش الإنسان وجاهد)(٢٢).

---

(٢٢) مع الفيلسوف د / محمد ثابت ألفندى ص ٢٧٢ . ط دار النهضة العربية بيروت سنة ١٩٨٠ م .

فإن هؤلاء ممكن دعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة إلى الإقرار بالمبادىء العقلية والبراهين المنطقية ليتحول تصورهم الميتافيزيقي من تصورات ذهنية وخيالات مبهمة إلى معرفة عالم موجود حقيقي بدقائقه ونظمه الفائقة فى عظمتها وجلالها ، المتضمنة لتفاصيل اليوم الآخر (ونعنى بذلك كله عالم الغيب وفق العقيدة الإسلامية) .

ولكن ما الحيلة فى الوضعيين المنطقيين الرافضين لكل ما هو غير مادى محسوس وخاضع للتجربة ؟!

ونخشى أن يصل بهم الأمر إلى إنكار وجودهم أنفسهم .. وهم كما وصفوا بحق أنهم أهل (اللافسلفة المعاصرة)[٢٣]!

كذلك فإن لنا مواقفنا المستمدة من عقائدنا الجلية الواضحة فنعيد عن أن نلهث وراء أمثال سارتر والوجوديين - كما يراد لنا تحت العصرية والتحديث - بغير وعى بذاتنا وثقافتنا ، بل لمجرد معايشة العصر ومتابعته !

إن أى مسلم عارف بدينه يسخر سخرية لاذعة من أقوال سارتر وعباراته ، ومنها مثلا (كل موجود يولد من غير داع ، ويمتد وجوده فى ضعف ، ويموت صدفة) !

---

(٢٣) المرجع السابق ص ٢٥٩ .

أو (الموجود يوجد من غير داع ، وبلا سبب ، وبدون ضرورة)[٢٤] !

فإذا ألقينا على عامة المسلمين – فضلا عن خاصتهم – مثل هذه العبارات فإنهم بلاشك يسينفرون منها ، بل سيطوحون بها بعيداً لأن ثقافتهم الإسلامية توضح الحكمة من الوجود وتضفى عليه معنى وتعرف له غاية ونضيف أن قضايا الفلسفة المعاصرة هى نفسها القضايا التى كانت مثارة فى عصر الفيلسوف اليونانى **أفلاطون** (٤٣٨ ق . ق) وهذا ما يؤكده ديورانت فى كتابه (قصة الفلسفة) محيث يشير إلى كتاب (الجمهورية) لأفلاطون ثم يطرح القضايا التى بحثها ، وهى نفسها المطروحة بواسطة الفلاسفة المعاصرون (فهنا – فى الجمهورية – سنجد ميتافيزياءه ، ولاهوته ، وأخلاقه الوضعية ، وعلم نفسه وعلم تربيته ، وسياسته . ونظريته فى الفن . وهنا سنجد قضايا تفوح منها رائحة العصرية ولها مذاق معاصر : سنجد الشيوعية والاشتراكية ، الحركة النسائية وتحديد النسل وتحسينه ، وستطالعنا قضيتا نيتشه ، الأخلاق والارستقراطية ، وقضيتا روسو ، العودة إلى الطبيعة ، والتربية الانعتاقية . وقضية بيرغسون ، الابتداع الحيوى ، والتحليل النفسى لفرويد ، كل شيء موجود هنا)[٢٥].

---

(٢٤) مع الفيلسوف ص ١٢٩ .

(٢٥) قصة الفلسفة – ول ديورانت ص ٧٣ ترجمة أحمد الشيبانى – منشورات المكتبة الأهلية بيروت ١٩٦٥ م .

أما **أرسطو** (٣٢٢ ق . م) الذى ظل طويلا المعلم الأول ثم اختفى فى الفلسفة الحديثة فقد عاد فى فرنسا وانجلترا ليأخذ حظه من الدراسة ، بسبب فلسفته فى الوجود ، أو نظرياته المنطقية .

صحيح أن ذلك يجرى فى نطاق الاتصال بالفلسفة القديمة لتجديدها (أو لتجديد الاتصال بها لفهمها فى ضوء جديد)[٢٦] ، إلا أنه يدل على التشبث بثقافاتهم ، والحرص على الاتصال بمنابعها والفخر بالماضى التاريخى ، ومع هذا لا يوصفون (بالرجعية) !

ويدل أيضا أنه لا جديد تحت الشمس هناك ، ولكن حركة دائرية فى حلقة مفرغة فلا تتقدم إلى الأمام لحل معضلات الإنسان أو لارتقاء به وتحقيق سعادته .

لا مخرج إذن إلا بالاهتداء بالوحى المنزّل الذى خُصت أمتنا بتعاليمه الأخيرة الكفيلة بتحقيق الحياة الطيبة فى الدنيا والسعادة فى الآخرة .

النظر الفلسفى والدين :

ومن المآخذ على نظريات المثقفين المحدثين أنهم حصروا أنفسهم فى دائرة المباحث الفلسفية وأنساقها سواء فى أصلها اليونانى القديم أو الأوروبى الحديث ، كما اعتادوا – بسبب مناهج التعليم التى أسسها

---

(٢٦) مع الفيلسوف ص ٤٥ / ٤٦ .

المستشرقون وتلاميذهم أعادوا النظر إلى الإسلام كدين بالعملية التجريدية المحضة التى تفصل بين الدين والحياة ، أو الدين والأحكام العقلية ، والدين والنظريات العلمية ، ومن ثم أصبح مفهوم الدين عندهم مجرد لون من الثقافة كغيره من ألوان الثقافة الأخرى من العلوم والآداب والفنون ، والتدين مجرد علاقة تربط بين العبد وربه ، وعمادها القلب والعاطفة ولا دور للعقل وأحكامه فيه !

ولكن الإسلام - كما عرّفه البعض من غير المسلمين - يحتوى على كلّ شامل إذا حللنا عناصره ، سنعثر فى النهاية على عقيدة وشريعة ونظم وأخلاق تجمع بين النظر والعمل فى دائرة واسعة تضم الفرد والمجتمع والأمة . يقول د/ فيليب حتّى (الإسلام منهج حياة ، وهو - بهذا النظر - يتألف من ثلاثة جوانب أساسية : الجانب الدينى والجانب السياسى والجانب الثقافى . هذه الجوانب الثلاثة تتشابك وتتفاعل ، وربما انقلب بعضها إلى بعض مرة بعد مرة من غير أن نلحظ ذلك)(٢٧).

ويتضح من هذا التعريف صفة (الشمول) التى تكمن فيها فاعلية الإسلام وقوته المنيعة بالرغم مما تلقاه من ضربات - كما يرى الأستاذ العقاد حيث صابر الكوارث والشدائد (زهاء تسعة قرون ، ولم يزل بعدها « وحدة إنسانية » هائلة تتخذ مكانها بين هيئات الأمم -

(٢٧) الإسلام منهج حياة ص ٩ ترجمة د/ عمر فروخ . ط دار العلم للملايين سنة ١٩٨٣ م .

ولا تزال – على أمل وثيق فى المزيد)[٢٨] وربما يتقصد تجاوز ... للحدود الضيقة للجنس واللغة والبيئة وارتفاعه إلى ... ﴿ إنما المؤمنون أخوة ﴾ .

وتتضح الميزة الثانية للإسلام بأنه (عقيدة شاملة) لأنه ... النفس الإنسانية بجملتها من عقل وروح وضمير[٢٩] .

ونعود إلى بيان الفجوة العميقة فى فهم بعض المستغربين للإسلام إذ يتضح فهمهم له على نمط العقيدة النصرانية المؤدية إلى إقامة ... العبادات والشعائر ثم ممارسة الحياة الفردية والاجتماعية كما يحـ...

وهنا مفترق الطرق بين الإسلام وغيره ، وكان الفيلسوف جارودى على وعى بأخص ما ينفرد به الإسلام ، لأنه (الاستسلام والخضوع لإرادة الله – عز وجل – وعلى هذا المفهوم ... ما فى الوجود هو خاضع ومستسلم لله . فالأشجار فى ... والحيوانات فى توالدها والأحجار فى ركودها مسلمة أى خاضعة لقوانين الله ، لكن بدون إرادة منها . أما الإنسان فهو الوحيد الذى يملك الاختيار فى أن يختار الإسلام أو يرفضه ، فهو بذلك يتحمل المسؤولية الكاملة)[٣٠] .

---

(٢٨) الإسلام فى القرن العشرين ، حاضره ومستقبله ص ٣٢ .

(٢٩) المرجع السابق ص ٢٩ . منشورات المكتبة العصرية بيروت صيدا ١٩٧٩ م

(٣٠) الإسلام دين المستقبل ص ٣٣ .

فما هى مكانة الإنسان ومبدؤه ومصيره فى العقيدة الإسلامية ؟

سنوجز الإجابة على هذا السؤال بعد إعطاء فكرة عن تفرد الثقافة الإسلامية من حيث العقائد والمعارف ، ومن حيث العبادات والسلوك ، وهى مغايرة تماما لثقافة (العصر) :

تفرد الثقافة الإسلامية :

إن المسلم منفرد بثقافته التى تضم عقيدته وتصوراته وقيمه ، ولها مصادرها ومنابعها ، وهو يحرص على ألا تختلط بثقافات أخرى .

وقد عالجت كتب العقائد الإسلامية كل ما دار حولها إجمالاً وتفصيلا ، وأسهبت فى شرح كافة مسائلها واستوعبت الإجابات على ما يدور فى الذهن من تساؤلات واستفسارات عن عالمَى الغيب والشهادة بحيث لم تترك زيادة لمستزيد .

وإنّ استطلاع فهارس أحد هذه الكتب ليحمل المرء على الاقتناع بصحة ما نقرره ، إذ تتضمن التوحيد وصفات الله عز وجل وأسماءه الحسنى وأفعاله ، والرسالة وإثبات نبوة نبينا محمد ﷺ ، والقرآن كلام الله عز وجل ، والإيمان بالقدر وأفعال العباد ومسؤوليتهم عن أفعالهم ، وبيان الكبائر ومرتكبيها والحكم عليهم ، والإيمان وزيادته بالطاعات ونقصانه بالمعاصى ، والملائكة والجن وصفاتهم وأفعالهم ، وأشراط الساعة وأماراتها وأحداث يوم القيامة ووصف كل ما سيجرى فيه ، والجنة ونعيمها والنار وعذابها ، إلى جانب بيان

فضائل الصحابة وإثبات الكرامات ، ومناقشة المخالفين فى العقائد ، وغير ذلك من أمهات المسائل التى لا غنى عن معرفتها ، وهى معروضة وفق منهج علمى قائم على استعراض الأدلة ، وتفنيد آراء المخالفين بموضوعية ومناقشتها بمنهج جدلى يقوم على التمحيص ويهدف إلى الإقناع بمخاطبة العقول والأفهام .

فكيف مع هذا كله يُراد من المسلمين التحول من عقائدهم بواحاتها الفسيحة وآفاقها الرحبة التى ينفردون بها إلى ثقافات غيرهم من الأمم تقليداً ومتابعة ، بأفكارها المحدودة وتصوراتها الضيقة المصطبغة بالوثنيات ؟

بل كيف يُعقل التحول من اتباع خاتم الأنبياء ﷺ إلى اتباع فلاسفة اليونان والتابعين لهم من المعاصرين الجاهلين بحقائق الألوهية بله الإنسانية ؟ أى أولئك الذين (خبطوا خبط عشواء فيما يتعلق بذات الله وصفاته ، وكان عمادهم فى ذلك الظن والتخمين ، والخرص والترجيم دون استناد إلى توجيه سديد واشراقة مستقيمة ﴿ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون﴾ الزخرف :٢٠ . ولا تقل فلسفتهم وإلهياتهم التى دوّنها حكماؤهم وفلاسفتهم طرافة وخرافة عن أساطير الشرق وألاعيبها وأعاجيبها ، وقد تلمع فى أقوال سقراط وأفلاطون – دون أرسطو – وتعليمات فلاسفة الأخلاق أثارة من تعاليم الأنبياء لمعان اليراعة فى الليلة المطيرة الشاتية ، مما يدل على أن

تعاليم الأنبياء قد طرقت آذانهم فى حين من الأحيان ، لكن هذا النور لم يكن من السطوع والثبات بحيث يمكنهم أن يعولوا عليه فى دياجير الحياة ﴿ **كلما أضاء لهم مشوا فيه ، وإذا أظلم عليهم قاموا** ﴾ البقرة : ٢٠ [٣١] .

الإنسان : مكانته ومبدؤه ومصيره فى العقيدة الإسلامية :

يرى المتدبر للقرآن الكريم عنايته بالإنسان بالحديث عن أصل خلقه وأطواره والحكمة من خلقه ومصيره فى الآخرة . كذلك أمره ونهيه وبيان الحلال والحرام وتعريفه بربه عز وجل وتحذيره من عدوه الشيطان ، إلى غير ذلك من عظائم الأمور التى تتناول الإنسان من كافة الجوانب .

وما يدعو للاهتمام فيما نحن بصدده نقطة البداية فى الخلق وبيان القرآن الحكيم لأصل الفطرة وطبيعتها ، وأن الإنسان خلق عارفًا لربه تعالى موحّدًا إياه عز وجل .

كذلك تلفت الآيات القرآنية فى سور شتى أنظارنا إلى أصل خلق الإنسان لنقف على هذه الحقيقة المذهلة ، وهى كوننا مخلوقين من نطفة فعلقة فمضغة ... الخ .. ثم الموت والنشأة الآخرة .

---

(٣١) الإسلام فى عالم متغير ، للإمام أبى الحسن الندوى ص ٧١ .
ترجمة على عثمان - ط دار مكتبة الحياة - بيروت ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

ومن هذه الآيات ما ورد في سورة (المؤمنون) : قال تعالى ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين * ثم إنكم بعد ذلك لميتون * ثم إنكم يوم القيامة تبعثون** ﴾ المؤمنون : ١٢ - ١٦ .

ألا يدعونا ذلك إلى التفكر والتدبر ، ثم يصبح رادعا .. عن التكبر ، ومن ثم ينبغي على الإنسان أن يسلك السلوك المتوافق مع حقيقته كمخلوق مصنوع مربوب ، فيخضع مختاراً لربه عز وجل في حياته كلها ، ويستخدم قدراته ومواهبه العقلية والجسمية فيما خلق من أجله لتتحقق سعادته وسعادة المجتمع الإنساني كله ؟

وهذه في الحقيقة هي مهمة الأمة الإسلامية على مدى العصور كانت تؤديها عندما كانت مقاليد الأمور بيدها ، وهي مطالبة باستردادها لاستئناف دورها من جديد ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا** ... ﴾ البقرة : ١٤٣ .

كذلك نلاحظ أيضا نداء القرآن الكريم للإنسان (يابني آدم) لتذكيره بفطرته ، والميثاق ﴿ **وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا**

بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين * أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذريه من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ﴾ الأعراف : ١٧٢ .

وإنه مخلوق مربوب ، خُلق بعد أن لم يكن ، وإنه فى حاجة دائما إلى ربه عز وجل ، حيث أنه سبحانه هو الذى أنعم عليه بالحياة ابتداءً بالخلق ، وهو الذى يمده بالنعم التى تجعل حياته باقية ، وممتعة

﴿ أفرأيتم ما تمنون * أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون * نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين * على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فى ما لا تعلمون * ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكّرون * أفرأيتم ما تحرثون * أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون * لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون * إنا لمغرمون * بل نحن محرومون * أفرأيتم الماء الذى تشربون * أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون * لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون * أفرأيتم النار التى تورون * أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشؤون ﴾ سورة الواقعة: ٥٨-٧٢

وتتميز هذه (الآيات) القرآنية بأنها لا تخاطب العقل وحده أو العاطفة وحدها ولكنها تتجه إليهما معاً فتؤدى إلى الاقتناع العقلى وتغذى العاطفة والروح معاً لمن أراح عن نفسه قيود التقليد للثقافات الأخرى !

إذا إذن نتفرد كأمة إسلامية بتصوراتنا الخاصة ، وفى كتب العقائد ما يشبع تطلعات القارىء إلى معرفة الإجابة على كل ما يدور فى خلده من تساؤلات .

ولضيق المقام ، ولعدم الخروج عن غرض الكتاب ، نكتفى بإعطاء القارىء فكرة موجزة مستمدة من أحد علمائنا - وهو الراغب الأصفهانى (٤٠٢ هـ) الذى انكب على القرآن الحكيم مستقرئاً دورة حياة الإنسان المتكاملة :

الغرض من خلق الإنسان :

يرى الراغب الأصفهانى استناداً إلى الآيات القرآنية أن للإنسان ثلاثة أفعال تختص به وهى :

١ - عمارة الأرض المذكورة فى قوله تعالى : ﴿ **واستعمركم فيها** ﴾ لتحصيل المعاش لنفسه ولغيره .

٢ - خلافته عز وجل المذكورة فى قوله تعالى : ﴿ **ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون** ﴾ .

٣ - عبادته المذكورة فى قوله تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ أى الامتثال لله سبحانه وتعالى فى عبادته وفى أوامره ونواهيه(٣٢) .

---

(٣٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة ص ١٨ ، ط مكتبة الكليات الأزهرية - مراجعة وتقديم طه عبد الرؤوف سعد (١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م) .

ويعنينا توضيح معنى العبادة لما لها من صلة بالفطرة الإنسانية التى خلق بها بنو ادم ، ثم معرفة وظيفتها وحاجتنا إليها :

إن العبادة هى (فعل اختيارى مناف للشهوات البدنية تصدر عن نية يُراد بها التقرب إلى الله تعالى طاعة للشريعة) أما دورها فهو المحافظة على الفطرة التى خلق بها الإنسان المشار إليها بقوله تعالى : ﴿**فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله**﴾ الروم : ٣٠ .

وهذا التعريف العام للعبادة يحتاج تفصيل :

فإذا قدّمنا شرحًا مختصراً عن وظائف الصلاة مثلا فى الدنيا ، فبغرض إثبات أنها وغيرها من العبادات فى الإسلام ، لها معانيها ومقاصدها وضرورتها اللازمة للمسلم على مدى العصور (فهى ليست من قبيل التقاليد والعادات المنافية للعصر كما يظن أعداء التراث الإسلامى) .

كذلك فإن علماءنا بحثوها بعقول متفتحة وقلوب واعية . وخلاصة ما ذهبوا إليه أنها تذكّر الإنسان أولاً بعبوديته لله تعالى - لا لغيره ، ثم توقظ فى وعيه ثانياً أن الحياة الحقيقية الخالدة هى حياة الآخرة فى الجنّة حيث يجد هناك - بفضل الله وكرمه - حصاد ما زرعه هنا ، وهى ثالثاً سلاحه القوى فى معركته مع الشيطان عدوّه اللدود ، أى لها فوائد أخروية وفوائد دنيوية .

وسنختار نموذجين من آراء العلماء ، أحدهما لوحيد الدين خان - أحد العلماء التجريبين المعاصرين بالهند - وهو يصور لنا طرفًا من

هذه الغايات بقوله [فاسعى فوراً إلى الصلاة - أى عند ... صوت « حيّ على الصلاة » إنما هو إعلان وإظهار على أن الإنسان يعطى المقام الأول فى حياته لله فقط ، ومن لم يفعل هكذا فهو ... يعلن أنه يشرك مع الله أشياء أخرى ، فهو إما أن يكون ... للبلادة وعدم الإحساس ، وإما أنه ضحية لمشاغل أخرى ... فى حياته المقام الذى يجب أن يعطيه لله - تعالى - أساساً]...

وفى شرح الحديث الذى رواه مسلم (من صلى صلاة الصبح ... فى ذمة الله فلا يطلبنكم الله من ذمته بشىء ، فإنه من يطلبه من ذمته بشىء يدركه ثم يكبه على وجهه فى نار جهنم) ، يرى وحيد ... خان أن المسلم حين يلبى نداء صلاة الفجر فيذهب ليؤديها فى ... من بيوت الله ، فإنه بهذا السلوك (يعلن عن نيته فى أنه سيبذل ... جهوده وسيقضى أوقاته فى سبيل تحقيق النجاح والفلاح فى الآخرة ... وأنه سوف يقضى يومه فى عبادة الله ومن لم يجب النداء الإلهى و... يسلم نفسه للشيطان عدو الإنسان)(٣٤).

ثم نورد بيان أحد علمائنا المعروفين فى علم (أصول الفقه) :

---

(٣٣) الإنسان القرآنى ص ٣٧ . ترجمة د/ سمير عبد الحميد إبراهيم . دار الصحوة ... ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م .

(٣٤) المرجع السابق ص ٣٨ ويصوّر المسلم الذى لا يصلى صلاة الصبح فى جماعة بأنه ... نفسه فى الخطر الذى توعده الله به وهو أن يخلع الله عنه رداء عونه ومساعدته ولن يبقى ... أى ملاذ أو منجاً إلا أن يجد نفسه يواجه الشيطان بمفرده .

يقول الشاطبي :

[**فالصلاة** : مثلا أصل مشروعيتها الخضوع لله سبحانه بإخلاص التوجه إليه ، والانتصاب على قدم الذلة والصغار بين يديه ، وتذكير النفس بالذكر له . قال تعالى : ﴿ **وأقم الصلاة لذكرى** ﴾ وقال : ﴿ **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر** ﴾ وفى الحديث : « إن المصلى يناجى ربه » . ثم إن لها مقاصد تابعة ، كالنهى عن الفحشاء والمنكر ، والاستراحة إليها من أنكاد الدنيا ،وفى الخبر « أرحنا بها يابلال » ، وفى الصحيح « وجعلت قرة عينى فى الصلاة » وطلب الرزق بها ، قال الله تعالى : ﴿ **وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك** ﴾ . وفى الحديث تفسير هذا المعنى .

وروى عن النبى ﷺ : «أنه كان إذا اضطر أهله إلى فضل الله ورزقه أمرهم بالصلاة » لأجل هذه الآية . فهذه صلاة يستمنح بها ما عند الله .

وانجاح الحاجات كصلاة الاستخارة وصلاة الحاجة وطلب الفوز بالجنة والنجاة من النار ، وهى الفائدة العامة الخالصة .

وكون المصلى فى خفارة الله ، ففى الحديث : « من صلى الصبح لم يزل فى ذمة الله »ونيل شرف المنازل ، قال تعالى : ﴿ **ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا** ﴾ فأعطى بقيام الليل المقام المحمود .

وفى الصيام سد مسالك الشيطان والدخول من باب الريان ، والاستعانة على التحصن فى العزبة ، وفى الحديث : « من استطاع منكم الباءة فليتزوج » ثم قال : « ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » وقال : « الصيام جنة » وقال : « ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان » .

وكذلك سائر **العبادات** فيها **فوائد أخروية** وهى العامة ، وفوائد دنيوية وهى كلها تابعة للفائدة الأصلية ، وهى الانقياد والخضوع لله كما تقدم][35]

أما عن مصير الإنسان فإن الراغب يرى أن الإنسان فى دنياه مسافر ، ويتخذ الدليل على ذلك من قصة الخلق إذ قال الله تعالى : ﴿ **وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين** ﴾ ، مستشهدًا بتفسير على بن أبى طالب – رضى الله عنه – « الناس على سفر والدنيا دار ممر لا دار مقر ، وبطن أمه مبدأ سفره والآخرة مقصده وزمان حياته مقدار مسافته وسنوه منازله ،

---

(٣٥) الموافقات فى أصول الشريعة لأبى إسحق الشاطبى جـ٢ ص ٧٩٠ دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م .

وينظر كتاب (الأركان الأربعة) للعلامة أبى الحسن الندوى حيث شرح المعانى الدينية والمقاصد الشرعية للعبادات (ط دار القلم – الكويت) ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م فى غير خضوع للفلسفات السياسية والمذاهب الاقتصادية والاجتماعية السائدة هادفا إلى تكوين المزاج الإسلامى النبوى ، والحرص على استمساك الأمة بذاتيتها .

وشهوده فراسخه ، وأيامه أمياله ، وأنفاسه خطاياه ، يسار به سير السفينة براكبها »[٣٦] .

فالغاية للإنسان ينبغى أن تكون دار دار السلام ، ويحتاج فى حياته إلى التزود للسفر ، وهو فى كدح وكبد ما لم ينته إلى دار القرار كما قال تعالى : ﴿ **يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه** ﴾ .

إن الحكيم الأصفهانى يصور الإنسان فى حركة دائمة ساعيا نحو غايته ، فهو على سفر ، ومقصده الدار الآخرة حيث تتحقق له السعادة الدائمة ، فالحديث « سافروا تغنموا » يحث على التحريك الذى يثمر جنة المأوى ومصاحبة الملأ الأعلى ومجاورة الله تعالى وكلها أسمى الغايات ولكن الإنسان فى سعيه هذا يحتاج إلى خمسة أشياء : معرفة المعبود المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ **ففروا إلى الله** ﴾، ومعرفة الطريق المشار إليه ﴿ **قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة** ﴾ وتحصيل الزاد المتبلغ به المشار إليه بقوله: ﴿ **وتزودوا فإن خير الزاد التقوى** ﴾ ، والمجاهدة فى الوصول كما قال تعالى : ﴿ **وجاهدوا فى الله حق جهاده** ﴾ وبهذه الأشياء يأمن الإنسان الغرور الذى خوفه الله تعالى منه فى قوله ﴿ **ولا يغرنكم بالله الغرور** ﴾[٣٧] .

---

(٣٦) الذريعة ص ٩ .

(٣٧) الذريعة ص ٣٥ .

وللاستزادة ينظر كتابنا (مناهج البحث فى العلوم الإسلامية) ١٧٩/١٩٨ ط مكتبة الزهراء بعابدين – القاهرة ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م .

الإيمان بالغيب والعصر :

لكى نضع الأمور فى نصابها فى قضية الإيمان بالغيبيات التى يجحدها الماركسيون والوضعيون المعاصرون ، فينبغى توضيح أن المسلم الذى يؤمن بالغيب أكثر علمية أولاً وأوسع آفاقا وأرحب تصوراً للوجود ، وهو ثانياً أسعد حالا من الماركسى أو الفيلسوف الوضعى حيث حبس كل منهما نطاق معرفته داخل التصورات المحسوسة المادية ، لأنه حقيقة الأمر (رجعى) بالمقياس الإسلامى لأنه حدد معارفه بنطاق قوانين مداركه المحدودة ومجالات الحس الضيقة لا يتعداها ، بينما المخلوقات أكبر وأعظم من أن تحيط به العقول ، وتثبت الاكتشافات العلمية كل ما يبهر ويذهل يوما بعد يوم .

أما المسلم ، فقد انفسحت أمامه المعارف عن كل ما غاب عن حسه من عالم الغيب استمدها من مصادر موثقة بمنهج علمى دقيق ، سواء كان مصدره كتاب الله عز وجل أو سنة الرسول ﷺ ، ومن تم تُصاغ حياته وفق عقائده ومعارفه عن هذا العالم الغيبى ، لأنه علم بتفاصيله منذ لحظات موته إلى مصيره النهائى الذى يتحدد وفق أعماله ويحاسب عليها بدقة متناهية « **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** » .

كذلك تتحقق له الحياة الطيبة عمليا فى ضوء إيمانه بالقدر على الوجه الصحيح فلا يهتز أمام الفواجع ، ولا تحطمه الكوارث ،

بل يصبر أمامها ويحتسب ويصبح كما تصمد الشجرة الثابتة الجذور
أمام العواصف ، فربما تهتز وتتمايل لقوة الرياح وسرعتها ، ولكنها سرعان ما تعود إلى وضعها الثابت لأن الجذع ظل ثابتا شامخا !

ومن هنا يعرف المسلم أنه مبتلى فى حياته الدنيوية المؤقتة ، فإذا صبر عليها واحتسب ، فسرعان ما تمضى وتتبدّل إلى حسنات فى ميزانه بالحياة الآخرة الخالدة ، وهو يعلم أن الله تعالى سيبدل عسره يسرا ، لذلك فإنه يتطلع دائما إلى المستقبل الأفضل ، فتهون عليه مصائب الدنيا ، لأن جنة الله عز وجل غالية عالية . .

آثار الإيمان بالغيب :

ونحن نأمل أيضا فى إقناع الذين يربطون العقائد بآثارها ونتائجها ، فإن الإيمان بالغيب أيضا له دوره وفاعليته وهو يدفع بالمؤمنين إلى تخطى عقبات وحواجز يظن (الوضعيون الحسيون) أنها أشبه بالمستحيلات !

لقد ظهر دور الإيمان بالغيبيات كأظهر ما يكون فى حياة الصحابة والمسلمين الأوائل ، وتكرر بصورة متطابقة مع المسلمين الذين خاضوا المعارك تلو المعارك لهداية البشر وجعل كلمة الله هى العليا ، ولم يهزموا - كما يحكى لنا التاريخ - إلا بسبب المعاصى كما حدث

في موقعة أحد (وهناك أمثلة في واقعنا المعاصر) ، [illegible] القصور – وهو من صميم الطبيعة البشرية[38].

ولا ننسى انتصار المجاهدين الأفغان في عصرنا الحاضر على [illegible] الروسي الرهيب حيث قاوموا ببسالة منقطعة النظير ما [illegible] بالأفغان ، حيث سعوا لإبادة شعب (ليزرعوا على أنقاضه [illegible] الكافر غير الإنساني ، ويزعمون مع ذلك أنهم دعاة عدل [illegible] وسلام) ![39].

وهذا يتدرج بنا أيضا إلى العامل الرئيسي والأول في تعبئة [illegible] الإسلامية المعاصرة ، وهو ما لا يقدّره المراقبون والمحللون من [illegible] المسلمين ، وهو الإيمان بالله تعالى ومدى قوته ونفوذه [illegible] على قلوب المسلمين ونفوسهم ، وشوقهم إلى الرجوع إلى [illegible] وجل لأنه ناصرهم ومؤيدهم ورازقهم فضلا عن أنه خالقهم [illegible]

---

(٣٨) يقول د / فيليب حتّى (إن الفاتحين الذين كانوا قد أصبحوا على [illegible] من الأميال عن مراكز امدادهم ، ثم لم يكونوا ذوى خبرة بالأرض التى [illegible] ولا كان فيهم الاستعداد لاحتمال هجمة الشتاء القارس وقف زحفهم وقوفا [illegible] الانسحاب . ذلك كان نطاق الانتصار الذى هلل له المؤرخون الغربيون [illegible] المعارك الحاسمة فى التاريخ (موقعة شارل مارتل – وكان المسلمون بقيادة [illegible] الغافقى) . ص ١٧٢ من كتابه (الإسلام منهج حياة) ترجمة د/ عمر فروخ [illegible] للملايين – بيروت سنة ١٩٨٣ م .

(٣٩) الإسلام حضارة ص ١٧٥ د / حسين مؤنس الدار السعودية للنشر والتوزيع [illegible] ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

ينصرهم إذا استمسكوا بميثاقه وأطاعوه فيما أمرهم به ، وانتهوا عما نهاهم عنه !

الإسلام والفلسفة :

يتبين لنا مما تقدم أن لدينا من المعارف والعلوم من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ما يغنينا عن الالتجاء إلى أية فلسفات وثقافات أخرى من تصورات البشر التي هي أقرب إلى التخمينات منها إلى الحقائق والوقائع الصحيحة .

وعندئذ تُثار مسألة الصلة بين الإسلام والفلسفة :

ونرى أنه أول ما يجب تحديده قبل تقرير نتيجة البحث هو التمييز بين تعريفين :

أحدهما تعريف الفلسفة بأنها نتاج ثقافى غربى ممتد منذ الأجداد اليونان إلى العصر الحديث .

والثانى أساليب العقل المنطقية التى يعتمد عليها الإنسان فى الإدراك والفهم والاستنباط وغير ذلك من العمليات الذهنية .

ولا ينبغى الخلط بين التعريفين .

ونضيف هاهنا أيضا ما اقترحناه من قبل بكتابنا (الإسلام والمذاهب الفلسفية) بضرورة اتخاذ منهج آخر فى الدراسة ، وقلنا هناك :

(فقد آلينا على [illegible] الالتزام بالمنهج المقارن والاطلاع على الفلسفات من نافذة واسعة ، تتسع لرؤية شاملة لتاريخ وحضارات الأمم بدلاً من النافذة الضيقة التى ألجأنا إليها المستشرقون - فى عهد مضى وانقضى - لكى نضطر إلى الدخول فى دائرة الصيغة الضيّقة التى وضعوها فى شكل سؤال اصطنعوه اصطناعا وهو :

(هل فى الإسلام فلسفة) ؟ أو : هل استطاع المسلمون إبداع فلسفة ؟ .

ونقول : إنهم اصطنعوا هذا السؤال اصطناعا لأنهم صاغوه وفق ثقافتهم ونظرتهم المتعالية المعتزة بالعنصر الآرى دون غيره من أجناس البشر ، وكانوا يقصدون بالفلسفة ، التفلسف على نمط فلسفتهم الغربية ، أو فلسفة أجدادهم اليونان بوجه خاص ..

إن السؤال الصحيح فى هذا الغرض ينبغى صياغته فى شكل آخر مختلف تماما : وهو : هل الإسلام يخاطب (العقل) ويأتى بالبراهين الدالة على كماله أم لا ؟[40].

---

(٤٠) مقدمة كتابنا (الإسلام والمذاهب الفلسفية). ط دار الدعوة بالإسكندرية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

ونضيف بأن استخدام المنهج المفروض علينا يُعدّ لوناً من (الاستقطاب الفكرى)[41] الذى يهدف إلى مسح الهوية وفرض التبعية .

ولا يقتصر الأمر على ضرورة تغيير منهج دراسة الفكر الفلسفى بل ينبغى اتباع ذلك فى باقى العلوم الإنسانية - كالاجتماع والسياسة والنفس والأخلاق والتربية - بدلاً من استخدام المناهج الغربية ، فإن الاستقلال بالمنهج أصبح ضروريا بعد تجاربنا مع الغرب حيث أخضع هذه العلوم لمقاييسه وقيمه الخاصة ، ثم النظر إلينا من موقع الاستعلاء حيث يضعون النموذج الأوروبى (والتجربة الأوروبية فى قمة التطور وإعطائها الصبغة النموذجية المثالية)[42] .

---

(٤١) يعرّف الأستاذ جمال سلطان (الاستقطاب الفكرى) بأنه ارتباط فاعليتنا الحضارية فى شقها الفكرى الإبداعى ، بالطرح الاستشراقى لقضايا ومشكلات الفكر الإسلامى ....

.. ويؤدى فى النهاية إلى قولبة قضية الإسلام ، من خلال القوالب المنهجية والفكرية ، التى صاغها الفكر الأوربى ، فتصبح « رسالة الإسلام » عبارة عن (ملحقات) أو - بالضبط - تزييلات فكرية على القضايا التى يفجرها العقل الأوروبى ..

ينظر مقاله القيم بعنوان (الاستقطاب الفكرى ومأزق الإرث الاستشراقى) بمجلة منار الإسلام - قطر جمادى الآخر ١٤٠٩هـ/ ١١ يناير سنة ١٩٨٩ م . من ص ٩٥ إلى ص ١٠٠ .

(٤٢) من مقال (الحياة الاجتماعية كما صورها بعض المستشرقين) ص ١٥٥ للدكتور عبد الوهاب أبو حديبة كتاب (مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية - الجزء الثانى - ط مكتب التربية العربى لدول الخليج الرياض ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م . =

رسول الله ﷺ هو الأسوة الحسنة فى كل العصور :

ويأتى مسك الختام بالحديث عن صلة اتباع الرسول ﷺ بالعصرية والمعاصرة ، فنقول :

إن المسلمين كافة مطالبون بالتأسي بالرسول ﷺ (**لقد كان لكم رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر** ﴾ الممتحنة : ٦ على مدى العصور كلها حتى قيام الساعة، وهو وحده الأسوة الحسنة حيًّا وميتاً ، فلم تنقض سنته بموته ، لأنهم مأمورون بطاعته طاعة مطلقة غير مقيدة بمكان أو زمان ﴿ **وأطيعوا الله والرسول** ﴾ ﴿ **وأطيعوا الله ورسوله** ﴾ ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم** ﴾ آل عمران : ٣١ .

= ويلفت نظرنا الدكتور عبد الوهاب إلى حقيقة أخرى ربما غابت عن الكثيرين ، وهى أن علماء الاجتماع الفرنسيين جعلوا منه بابا من أهم أبواب (العلوم الاستعمارية) من حيث موضوعه حيث ينظر إلى مشاكل المجتمعات المستولى عليها ومن حيث أهدافه حيث كان يخدم مصالح الامبراطورية الفرنسية (ص ١٤٤) ويعلل الباحث نشأته إلى ما اتضح للاستعمار من أن الشعوب الإسلامية المغلوبة المهزومة عسكريا لم تخضع ذهنيا وعقليا لسيطرة الغرب عليها ، بل اتجهت تبحث فى ثقافتها ماضيا وحاضرا عن مقومات لتجابه خطر الاحتلال ، وعندئذ وضع (رينى مونى) مشروعا باسم (علم الاجتماع الجزائرى) للتعرف على حياة الشعوب الجزائرية . ص ١٤٢/١٤٣ .

وشهادة الدكتور عبد الوهاب لها وزنها لأنه من كبار المتخصصين فى هذا الشأن حيث يعمل مديراً لمركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بتونس .

ولا يتعارض ذلك مطلقا مع العصرية ، لأن الاقتداء به يتصل بعقائد الإنسان المسلم وعباداته وسلوكياته كإنسان يحتاج إلى أسوة فى طريق اجتيازه لحياته الدنيوية (فالحوافز الإنسانية لم تزل نفسها اليوم كما كانت منذ فجر الحضارة الإنسانية ، فالغرائز التى هى محور عمل الإنسان لم تزل باقية كما كانت بالرغم من أن مجال النشاط الإنسانى قد اتسع ، وصفات الإيثار والشرف والصدق والشجاعة المستحبة تنال من الاحترام اليوم ما كانت تناله منذ القدم)[٤٣] .

وحسما للمناقشة والجدل فى هذا الصدد ، فإننا سنتحدث عن التجربة الشخصية وأصدائها فى النفس ، فنقول ، وبالله التوفيق :

صلى الله عليه وسلم

إننى عندما أتبعه - بأبى هو وأمى - فلا أظن ولا يخطر ببالى ، ولا أشعر ، أننى أعود إلى ماضٍ بعيد أختار منه إنساناً أحاكيه كلا ، فإن الذى يحدث بالضبط ، هو أننى أتمثل سيرته بذاكرتى ، وأجمع محبته فى قلبى وبين جوانحى ، فأصلى عليه وأسلم ، فيسهل علىّ متابعته منقاداً طائعاً بغبطة وسعادة لأنه الهادى إلى الطريق المستقيم .

إن سيرته - ﷺ كاملة شاملة ، فلا أحتاج إلى غيره للاقتداء به ، لأنه أوضح كل ما يعنّ لى من حاجات حيث يدلنى فيما أريد .

---

(٤٣) تفسير التاريخ ص ١٤٥ عبد الحميد صديقى ترجمة د/ كاظم الجوادى . ط دار القلم بالكويت ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

معرفته والعمل به ، ابتداءً من العقيدة إلى العبادات والمعاملات والأخلاق[٤٤] .

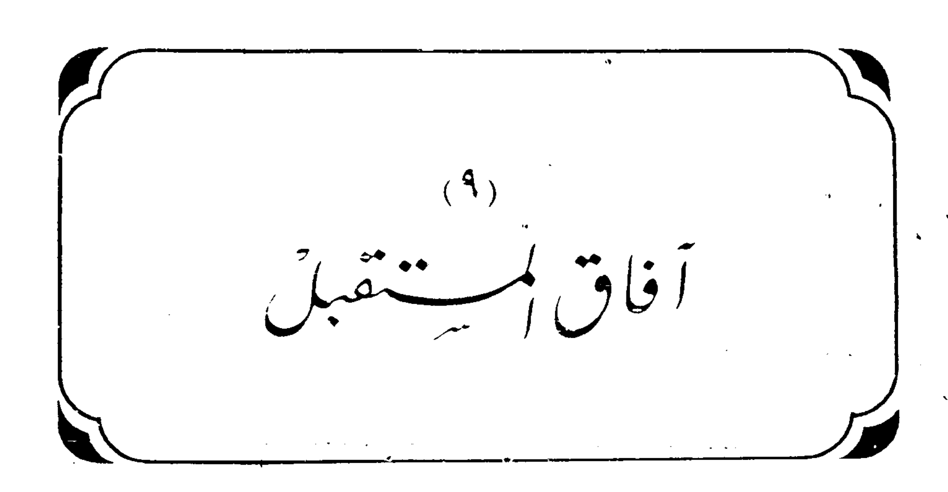
إنه ﷺ يعلمّني كيف أعبد ربي عز وجل : أذكره في كل الأحوال قائما وقاعداً ، أصلي وأصوم وأزكي وأحج وأفعل الخيرات وأترك المنكرات . كيف أبيع وأشترى وأعامل الأهل والأولاد والأصدقاء ، كيف أسعى لتحصيل الرزق ، كيف اتقبل صنوف آلام الحياة أثناء اجتيازى لدروبها المتشعبة بالصبر والمصابرة واليقين والتوكل والرجاء وغيرها من أعمال القلوب ..

وهكذا ، وهكذا .. كيف أمضى حياتي كإنسان يجمع في كيانه بين الروح والجسد سعيا وراء الغاية العظمى والهدف الأسمى : (ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنّة) .

---

(٤٤) يقول القاضي عياض : ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله له من المعارف والعلوم ، وخصّه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته بأمور شرائعه وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح أمته وما كان في الأمم قبله ، وقصص الأنبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية من لدن آدم إلى زمنه وحفظ شرائعهم وكتبهم ... ومحاجة كل أمة من الكفرة ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم وإعلامهم بأسرارها .. إلى تمهيد قواعد الشرع الذى لا تناقض فيه ولا تخاذل مع اشتمال شريعته على محاسن الأخلاق ومحامد الآداب وكل شيء مستحسن مفصّل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئاً إلّا من جهة الخذلان .. الخ .

(الشفا بتعريف حقوق المصطفى - ﷺ -) جـ ١ ص ٢٩٦ / ٢٩٧ مكتبة دار التراث بالقاهرة نسخة مصورة عن المطبعة العثمانية سنة ١٣١٢ هـ.



(٩)

آفاق المستقبل

آفاق المستقبل بمشيئة الله تعالى

بعد النظرة التاريخية الموجزة التى استخلصنا منها أن الأمة الإسلامية ظلت قائمة بخصائصها الجوهرية ، وتؤدى دورها بصورة أو بأخرى سواء انحصرت فى ظل (طائفة ظاهرة على الحق) أو فى (خلافة راشدة) فى العصور الأولى ، أو خلافة عثمانية فى العصور الحديثة . **الحقيقة المؤكدة أن الإسلام لم يكن قط ، كما يقول مكسيم رودنسون محتضرا .**

وفى ضوء هذه الحقيقة التاريخية فلا يجب أن تفاجئنا أو تدهشنا **الصحوة الإسلامية المعاصرة** ، لأنها حلقة من حلقات التى وقفت بها الأمة إزاء كل التحديات وقاومت بها كل السهام إليها طوال الأزمنة أثناء الخلافة الراشدة الموحدة ، وفى ظل الخلافة المتشعبة إلى ولايات إمارات فى عصر الخلافة العباسية ، وموحدة مرة أخرى فى الخلافة العثمانية ، التى بقيت حريصة حتى فى أواخر أيامها وضعفها على المحافظة على كيان الأمة ومقاومة الحروب الأوروبية التى لم تنقطع لغزو بلاد الإسلام .

ولا ينبغى النظر بدهشة إلى اليقظة الإسلامية المعاصرة كما فعل بعض المعلقين والمحللين الأجانب الذين يفتقدون وسائل الإدراك الصحيحة للإسلام وأثره كعقيدة فى نفوس المسلمين تظل نابضة بالحياة

ومؤثرة ، لأن الوحى الإلهى وإن انقطع بموت الرسول ﷺ ، إلا أنه بقى محفوظا بجدّته وأصالته فى القرآن والسنة .

إن هذه اليقظة - كما يقرر الأستاذ الدكتور عبد الملك عودة - هى (حلقة معاصرة فى سلسلة المواجهة التاريخية بين الشعوب والمجتمعات الإسلامية وبين الحكومات الاستعمارية الأجنبية) .

النظرة المستقبلية :

يقول **الدكتور حامد** ربيع الأستاذ بكلية العلوم السياسيه والاقتصادية بجامعة القاهرة :

(يسلم جميع علماء التحليل السياسى بأنه فى نهاية القرن العشرين سوف يصير الدين الإسلامى إحدى القوى الأساسية المحركة للوجود السياسى . ومرد ذلك يعود إلى عاملين :

العامل الأول : يرتبط بعودة الدين إلى أن يصير متغيرا أساسيا فى السلوك السياسى وفى الصراع السياسى بصفة عامة .

العامل الثانى : يرتبط بحلول الكم موضع الكيف فى تقييم القوى السياسية التى سوف تتحكم فى الصراع الدولى) .

يسلم بهذا المؤرخ (**وات**) صاحب الأبحاث الرائدة فى تاريخ الحضارة الإسلامية[1] .

---

(1) د. حامد ربيع : سلوك المالك فى تدبير الممالك جـ1 ص 182 دار الشعب 1400هـ - 1980 م .

ويؤكد هذه النظرة بناء على ما استنبطه من التقرير المشهور **لمعهد هوفر الأمريكى** والمتعلق بتخطيط السياسة العالمية ابتداء من نهاية القرن العشرين .

وترتبط هذه التوقعات بملاحظات ثلاث يراها الدكتور حامد ربيع وهى :

الأولى : نهاية أو فشل الإيديولوجيات السياسية المتمركزة فى خمسة مفاهيم أساسية : الديمقراطية ، الماركسية ، الشيوعية ، النقابية ، النازية .

الثانية : يقابل نهاية الأيديولوجيات تأكيد مستمر وثابت على أهمية العامل المعنوى فى الوجود السياسى ، أى الدين .

ويقرر بسخرية لاذعة أنه إذا كانت الدولة لا تزال تتمسك بتلك الأكذوبة الكبرى التى قدمتها إلينا الثورة الفرنسية بما أسمته مبدأ (اللادينية) ، فقد بات واضحا أن هناك هوة سحيقة بين الدولة بمفاهيمها التقليدية والفرد أو المواطن بأحاسيسه ومشاعره الروحية هذه الهوة لا يمكن تخطيها إلا من منطلق العودة إلى المفاهيم الدينية أيضا على مستوى الجماعة السياسية[٢] . . . .

والملحوظة الثالثة تتصل بدور الدين بمؤسساته الكبرى فى الغرب فى مسارات التعامل فى النطاق الدولى ، حيث يتضح دور **الفاتيكان**

(٢) سلوك المالك فى تدبير الممالك جـ١ ص ١٨٣ / ١٨٤ تعليقات الدكتور حامد ربيع .

المؤثر في الضغط على الدول الكاثوليكية وأثره في حركات القارة والإعلام الديني بما في ذلك الاتحاد السوفيتي .

كذلك **الصهيونية** التي يساندها النفوذ الكهنوتي وتتعاطف معها قوى الكنيسة في جميع أجزاء العالم .

كذلك تؤكد الأبحاث المستقبلية أن القوى ذات الطابع الإسلامي بمعنى الانتماء إلى العقيدة الإسلامية سوف يقدر لها خلال الأعوام الأخيرة من القرن الحالي نوع من الإيناع والإزدهار الكمي والكيفي في آن واحد[٣] .

ويتضمن تقرير معهد **هوفر** أيضا بيانا عن تطور معين في المجتمع الأمريكي نحو تضخم وزيادة قوة ما يسمى **بالمسلم الأسود** وبصفة خاصة في نطاق قيادات ذلك الشطر من المجتمع الأمريكي . ويقابل ذلك تطور مماثل في المجتمع الروسي بصورة أكثر خطورة وتتوقع الإحصائيات ازدياداً كميا خطيرا حيث تصل نسبة المسلمين في أوائل القرن المقبل إلى ٤٠٪ في المجتمع الكلي[٤] .

الأمة : بقاؤها واستمرارها :

وعلى مستوى التنظير السياسي تقرر الدكتورة منى أبو الفضل في بحثها المبتكر عن السمات البارزة للأمة الإسلامية حيث تنفرد بالخصائص الآتية :

---

(٣) المرجع السابق ص ١٨٣ .

(٤) المرجع السابق ص ١٨٣ .

١ – إن الرسول ﷺ قد خلف وراءه عند وفاته أمة – قبل أن يخلف إماما – وأنه لو لم تكن الأمة لما وجد من يؤمها، وبالتالى فإن وجود الإمام وجود منسوب أو مشتق والأمة أو الجماعة تصير هى الأصل .

٢ – إن الأمـة بهذا المعنى تصير هى المستودع للرسالة المحمدية ، أى أن الأمة هى وعاء القرآن الكريم .

٣ – بقاء الأمة مرتبط بالعلة وليس بالمعلول ، أى أن أمة القرآن باقية ببقاء الذكـر الحكيم[٥] . قال تعالى : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ الحجر : ٩ .

وستبقى الأمة بمشيئة الله تعالى حتى قيام الساعة لأنها الشاهدة على باقى الأمم ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا** ﴾ البقرة : ١٤٣ .

وفى ضوء ذلك كلّه يحق لنا التوقع بأن تكون حضارة الإسلام هى حضارة المستقبل بمشيئة الله تعالى ، لا الحضارة المعاصرة بجناحيها الشرقى والغربى كما يرى أصحاب الاتجاه التغريبى والماركسى .

ولكننا نتحفظ فى توقعاتنا حتى لا تركن فصائل الصحوة الإسلامية إلى الاسترخاء بل نريد فقط بث روح التفاؤل الباعثة

---

(٥) د. منى أبو الفضل (مفهوم الأمة فى الإسلام من دلالات اليقظة الإسلامية المعاصرة) ص ٣ بحث فى ندوة النظرية السياسية فى الإسلام بالمجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة ٥ ، ٦ مايو سنة ١٩٨١ م .

على الصبر والمصابرة والعمل الجاد كلٌّ فى ميدانه تنفيذاً لسنن الله تعالى التى تحققت طوال تاريخنا عندما أخذ أجدادنا بأسباب النصر !

وبعد هذا التحفظ الذى لابد منه ، نرى ضرورة مناقشة أحد الباحثين الملتزمين بالتفسير الماركسى فيما ذهب إليه من توقعات نخالفه فيها ، إذ لا نعتقد أن باحثاً مستوعباً لمتغيرات العصر يمكنه إغفال آثار الصحوة الإسلامية على كلا الكتلتين الشرقية والغربية ، فإذا تقرر أن (هزيمة الولايات المتحدة فى فيتنام سنة ١٩٧٣ كشفت حدود القوة الأمريكية ، وأكدت أن نهاية العصر الأمريكى بدأت فعلا ، وأن الحضارة المستقبلية الصاعدة هى الحضارة الإشتراكية)[٦] ، فإننا نرى أن مثل هذا التقرير الوارد فى صيغة مؤكدة تزعزعه التغييرات الجذرية فى النظام الاشتراكى (أو الشيوعى) على ضوء « البريسترويكا » ويتعمد استبعاده كعنصر تغيير يطيح بالنتيجة المتوقعة ويبعدها عن نطاق الاحتمال أنه من قبيل خداع النفس أن نمرّ مر الكرام على الحركة الإصلاحية لجورباتشوف فى المنعطفات الرئيسية لطريق النظام الماركسي التى تصل إلى حد الثورة على أحد الثوابت فى الفلسفة الماركسية ذاتها ونعنى به الإطاحة بفكرة الملكية العامة تدريجيا لا سيما فى مجال الزراعة .

---

(٦) سمير أمين : التطور اللا متكافئ ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٨٠ ص ٣٩٤ نقلا عن (العالم المعاصر والصراعات الدولية) للدكتور عبد الخالق عبد الله ص ٢٧ . ط عالم الكتب بالكويت العدد رقم ١٣٣ جمادى الأولى سنة ١٤٠٩ يناير سنة ١٩٨٩ م .

وحتى إذا أمكن تجاهل أحداث المجر وتشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٥٦ م فلا يسع أحد أن يغفل الزلزال الذى هز الكيان الروس السياسي والاجتماعى ونقصد به انتصار المجاهدين الأفغان الذى سيتبعه مستقبلاً بمشيئة الله تعالى – بسلسلة من التفجرات القومية والعرقية والدينية التى بدأت بالفعل بؤرها بين إقليمى أرمينيا وأذربيجان . وربما ما تخفيه ، أجهزة الإعلام السوفيتية ما هو أعظم وأخطر من ذلك بكثير !

ومن المفيد أيضا أن نذكّر هذا الباحث ، وغيره من الملتزمين بنفس الطريقة فى التفسير والتوقعات – برواية جورج أورويل «١٩٨٤» الذى تخيّل فيه العالم عام ١٩٨٤ وقد سادته الشيوعية الشمولية سيادة تكاد تكون كاملة . ولكن جاء عام ١٩٨٤ ولم تتحقق نبوءات أورويل بل اتضح منذ هذا العام أن القوى العظمى فى عالم اليوم لا تستطيع أن تتحكم فى الدول الصغرى ، وهو الرأى الذى ذهب إليه الكاتب الإنجليزى أنتونى بيرجس حيث يقول :

(صحيح أن هناك حديثا كثيرا عن مناطق النفوذ ، والنظم التى تدور فى فلك غيرها ، إلا أننا لا نشهد كتلا كبرى طابعها المركزية وتشترك جميعها فى أيديولوجيات متشابهة على النمط الذى تخيله (أورويل) . إذن فأين تكمن القوة ؟

إن القوة الفعلية التى تقود الآلات توجد حيث البترول الإسلامى ، على الرغم من أن الشرق الأوسط لم يكن بالنسبة

لأورويل إلا مجرد جزء من المنطقة التى تسكنها الأيدى العاملة الرخيصة وتتقاتل من أجلها الدول العظمى ... إن الإسلام إحدى الدول العظمى الحقيقية فهو يتمتع بأيديولوجية دينية قوية هيمن أصحابها الأولون على العالم المسيحى فى العصور المظلمة ، وربما عادت لتفرض نفسها على غرب جف فى عروقه الإيمان القوى المتحدّى بفضل قرارات مجمع الفاتيكان الثانى)[٧] .

تم الكتاب والحمد لله عز وجل أولا وآخرا

---

(٧) المسلمون قادمون أو « ١٩٨٥ » ص ١٢ أنتونى بيرجس – الزهراء للإعلام العربى ترجمة أحمد صديق ومحمود عبد الحليم سنة ١٩٧٧ .

وهو يقصد الوثيقة التى أصدرها المجمع بعنوان (توجيهات لإقامة حوار بين المسلمين والمسيحيين) وقد دعت الوثيقة إلى تغيير الصورة التى يصور المسيحيون المسلمين عليها ، تلك الصورة البالية التى شوهتها الافتراءات والأحكام المسبقة ، واهتمت الوثيقة بالاعتراف بمظالم الماضى التى ارتكبها الغرب ذو التربية المسيحية فى حق المسلمين . نفس المصدر ص ١٢ ١٣ .

وكتاب : القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم (موريس بوكاى) ص ٧ ط دار المعارف .

المراجع

القرآن الكريم

- الثقافة العربية بين الغزو الصهيوني وإرادة التكامل القومي . ط . دار الموقف العربي سنة ١٩٨٢ م . — د . حامد ربيع
- الحضارة في الميزان ط . الحلبي . — أرنولد توينبي ص ٣٠ ترجمة:امين محمود الشريف
- الإسلام وآسيا أمام المطامع الأوربية مكتبة النهضة سنة ١٩٨١م — أوجين يونغ
- في الفكر الإسلامي ط . سميركو سنة ١٩٨٤ م — د. إبراهيم بيومي مدكور
- الدعوة الإسلامية دعوة عالمية دار العربية - بيروت — فضيلة الشيخ محمد الراوي .
- سلوك المالك في تدبير الممالك حـ١ دار الشعب ١٩٨٠ م. — د . حامد ربيع
- ما يعد به الإسلام دار الوثبة - دمشق ١٩٨٣ م — روجيه جارودي ترجمة : قصي أتاسي مشيل واكيم

- العالم الإسلامى المعاصر
ط . عالم الكتب – القاهرة .
د . جمال حمدان

- حضارة العرب
ط . الحلبى سنة ١٩٦٩ م .
جوستاف لوبون
ترجمة : عادل زعيتر

- معركة الإسلام والرأسمالية
دار الشروق . سنة ١٩٧٤ م .
سيد قطب

- الحضارة فى الميزان
ط . الحلبى .
أرنولد توينبى
ترجمة : امين محمود شريف

- حاضر العالم الإسلامى
شكيب ارسلان

- الاستعمار والمذاهب الاستعمارية
دار المعارف سنة ١٩٧٧ .
د. محمد عوض محمد

- الصهيونية غير اليهودية
ط . عالم المعرفة – الكويت .
سنة ١٩٨٥ م .
ريجينا الشريف
ترجمة :
أحمد عبد الله عبد العزيز

- الاستعمار كظاهرة عالمية (حول الاستعمار والامبريالية والتبعية)
ط . عالم الكتب سنة ١٩٨٥ م .
د. حورية توفيق مجاهد

- حاضر العالم الإسلامى
المطبعة السلفية . القاهرة
سنة . ١٣٤٣ ھ .
لوثروب ستودارد
ترجمة عجاج نويهض
تعليق وتقديم :
شكيب ارسلان

- الإسلام والاستعمار (عقيدة الترجمة العربية : دار شهدى
الجهاد فى التاريخ الحديث) دار بالتعاون مع المعهد الهولندى
شهدى - القاهرة سنة ١٩٨٥ . للآثار المصرية والبحوث العربية

- موجز تاريخ العالم . أرنولد توينبى

- فضل الإسلام على الحضارة الغربية مونتجو مرى وات
ط . دار الشروق سنة ١٩٨٣ م . ترجمة : حسين أحمد امين

- انتبهوا .. البشرية فى خطر
ط . دار الشعب . سعاد منسى

- الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر د . محمد حسين

- محاورات برتراندرسل برتراندرسل
ط . الهيئة المصرية العامة ترجمة وتقديم :
للكتاب سنة ١٩٧٩ . جلال العشرى

- الإنسان الحديث : دراسة فى
مزاجه وقضاياه ط . دار الكتاب ج . وودكرتش
العربى سنة ١٩٦٥ م . ترجمة : بكر عباس

- محاضرات أرنولد توينبى
الدار القومية للطباعة .
القاهرة سنة ١٩٦٦ م . ترجمة د . فؤاد زكريا

- مع المسلمين الأوائل فى نظرتهم .
للحياة والقيم
ط . دار الدعوة . ١٩٨٩ . د . مصطفى حلمى

- الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين فى مصر ط. دار الكتب السلفية سنة ١٩٨٦ م . الشيخ أحمد محمد شاكر
- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ط. الحلبى سنة ١٩٦١ م . لابن القيم
- التوراة والإنجيل والقرآن والعلم موريس بوكاى المكتب الإسلامى سنة ١٩٨٧م .ترجمة : الشيخ حسن خالد
- واقعنا مستقبلنا فى ضوء الإسلام ترجمة : وحيد الدين دار الصحوة. القاهر سنة ١٩٨٤م د. سمير عبد الحميد إبراهيم
- الأصولية فى العالم العربى ريتشارد هرير دكمجيان ط. دار الوفاء سنة ١٩٨٩ م . ترجمة وتعليق: عبد الوارث سعيد
- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين أبو الحسن الندوى
- الخلافة والملك أبو الاعلى المودودى ط. دار القلم. الكويت ١٩٧٨ م تعريب : أحمد إدريس
- الحضارة ط. الكويت . د. حسين مؤنس
- عيون الأخبار ط. دار الكتب . ابن قتيبة

- نظرات إسلامية للإنسان والمجتمع من خلال القرن الرابع عشر الهجرى .
ط . مكتبة وهبة سنة ١٩٨٠ م . — د . رشدى فكار
- مجتمعاتنا المعاصرة والطريق إلى الإسلام
ط . دار الصحوة . سنة ١٩٨٨ م . — نور عالم خليل الأمينى
- تفسير التاريخ
ط . دار القلم . الكويت . سنة ١٩٨٠ م . — عبد الحميد صديقى ترجمة : د . كاظم الجزادى
- القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون .
ط . دار السلام . القاهرة سنة ١٩٨٦ م . — شيخ الإسلام : مصطفى صبرى
- كلمة حق .
ط . دار الكتب السلفية . ١٤٠٧هـ — الشيخ أحمد شاكر
- (كتاب المختار) الغرب والشرق الأوسط — تعريب د . نبيل صبحى
- الإسلام دين المستقبل . — روجيه جارودى
ط . دار الإيمان – بيروت ١٩٨٣ . ترجمة : عبد المجيد بارودى
- مقدمة ابن خلدون .
ط . المكتبة التجارية بمصر . — ابن خلدون

- الشرق الأوسط في العصر الحديث.
ط. المكتبة التجارية سنة ١٩٣٨م.   د. حسين مؤنس
- المفردات فى غريب القرآن   الراغب الأصفهانى (٤٠٢ هـ)
ط. الحلبى . سنة ١٩٦١   تحقيق محمد سيد الكيلانى
- ندوة اتجاهات الفكر الإسلامى
المعاصر . ٣- ٦/٦/١٤٠٥ هـ .   مكتب التربية العربى
٢٢ - ١٩٨٥/٢/٢٥ م .   لدول الخليج
- جامع البيان عن تأويل آى القرآن.   الطبرى
ط. دار المعارف سنة ١٩٦٩ م .   تحقيق محمود شاكر
- الإسلام والغرب والمستقبل .
ط. دار العربية بيروت ١٩٦٩ م . ترجمة د. نبيل صبحى

- نظرية المصلحة فى الفقه الإسلامى
مكتبة المتنبى سنة ١٩٨١ .   د. حسين حامد حسان
- الإسلام ومشكلات العصر
ط. دار الكتاب اللبنانى ١٩٨١ .   د. مصطفى الرافعى
- ما بعد اللامنتمى (فلسفة   كولن ولسون
المستقبل) .   ترجمة : يوسف شرور
ط. دار الآدب بيروت ١٩٨١ م .   وعمر يمقه

- مع الفيلسوف
ط. دار النهضة العربية بيروت
سنة ١٩٨٠ م. — د. محمد ثابت ألفندى

- قصة الفلسفة. — ويل ديورانت
ط. المكتبة الأهلية بيروت — ترجمة:
سنة ١٩٦٥ م. — أحمد الشيبانى

- الإسلام منهج حياة.
ط. دار العلم للملايين سنة ١٩٨٣ — د. عمر فروج

- الإسلام فى القرن العشرين. — عباس محمود العقاد
حاضره ومستقبله.
ط. المكتبة العصرية بيروت
سنة ١٩٧٩ م.

- الإسلام فى عالم متغير — للإمام أبو الحسن الندوى
ط. دار مكتبة الحياة بيروت — ترجمة:
سنة ١٩٨٠ م. — على عثمان

- الذريعة فى مكارم الشريعة.
ط. مكتبة الكليات الأزهرية — مراجعة وتقديم:
سنة ١٩٧٣ م. — طه عبد الرؤوف سعد

- الإنسانى القرآنى. — ترجمة:
ط. دار الصحوة سنة ١٩٨٥ م. — د. سمير عبد الحميد إبراهيم

– الموفقات فى أصول الشريعة
ط. دار المعرفة – بيروت
سنة ١٩٧٥ م . لأبى إسحق الشاطبى
– الأركان الأربعة
ط. دار القلم بيروت . للإمام أبى الحسن الندوى
– مناهج البحث فى العلوم الإسلامية
ط. مكتبة الزهراء سنة ١٩٨٤ م. د. مصطفى حلمى
– الإسلام والمذاهب الفلسفية.
ط. دار الدعوة سنة ١٩٨٥ م . د. مصطفى حلمى
– مناهج المستشرقين فى الدراسات مكتب التربية العربى
العربية الإسلامية . لدول الخليج
– الشفا بتعريف حقوق المصطفى القاضى عياض
ط. مكتبة دار التراث ١٣١٢ هـ.
– (مفهوم الأمة فى الإسلام من
دلالات اليقظة الإسلامية د. منى أبو الفضل
المعاصرة) .
بحث فى ندوة النظرية السياسية فى
الإسلام بالمجلس الاعلى للثقافة
بالقاهرة ٥ ، ٦ مايو سنة ١٩٨١
م .

– التطور اللامتكافىء
ط . دار الطليعة بيروت
سنة ١٩٨٠ م — سمير امين

– المسلمون قادمون — أنتونى بهرجس
ط . دار الزهراء سنة ١٩٧٧ م . — ترجمة : أحمد صديق
ومحمود عبـد الحليم

الفهرس

الموضوع — رقم الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب ٨٠١٠ / ٨٩

الترقيم الدولى ٢ ـ ٦٠ ـ ١٣٩٥ ـ ٩٧٧

مطابع الوفاء ـ المنصورة
شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ت ٣٤٢٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠
تلكس DWFA UN ٢٤٠٠٤